إلى القارئ

لطالما نوهنا بالمنزلة الرفيعة التى يتمتع بها رجال الأدب والثقافة فى ظل النظام الجمهورى وحمدنا العناية والتشجيع اللذين شملهم بهما الرئيس الحبيب بورقيبة وحكومته ، وخاصة الحرية الحق التى اصبحوا يتمتعون بها من يوم ان تحررت البلاد •

منذ أسابيع تصفح المجاهد الأكبر عدد الفكر الخاص بالاسلام وعبر عن إعجابه لصاحب هذه المجلة ملاحظا ان ما جاء فى بعض مقالاته ما كان يتصور إنسان أن ينشر فى تونس قبيل استقلالها ، مذكرا بضحايا الرجعية وكبت الكلمة وبالجو الذى كان يعيش فيه الطاهر الحداد وبالمصير الذى عرفه هذا المفكر الحر •

لم يكتف رئيس الدولة بخلق الاسباب الحقيقية لحرية التفكير والتعبير بل عبر عن ارتياحه عندما تأكد لديه أن من الأدباء والمفكرين من مارس هذه الحرية وقوى على المغامرات الروحية والفكرية وصدق فى نشدانه الحق والخير والجمال•

ومنذ أيام استدعى الرئيس الحبيب بورقيبة طالبة بالتعليم العالى لم تتجاوز عشرين ربيعا « حاولت » أقصوصة وأرسلت بها الى حصة « هواة الأدب » بالاذاعة التونسية واعاد الاستماع اليها والى تقييم احمد اللغمانى ، المشرف على الحصة الاذاعية ، لها ، وعبر « لهاوية الأدب » عن إعجابه وتقديره وهى تجربة مزدوجة لا شك انها سوف تترك أعمق الاثر وأبقاه فى نفس هذه الأديبة الناشئة وكل زميلاتها ، وسوف تنشط الأدب النسائى أيما تنشيط •

فاذا ما ربطنا عناية رئيس الدولة المباشرة بالعمل الحثيث والمخطط الذى لم تزل حكومته تضطلع به منذ الاستقلال فى ميدان التربية والتعليم والثقافة واذا ما تذكرنا المجهود المحمود الذى بذلته دار النشر على حداثة بعثها والسعى المتزايد الذى تقوم به دار التوزيع لتبليغ المنشورات التونسية فى الداخل والخارج بمساعدة كتابة الدولة للشؤون الثقافية ، تفاءلنا خيرا بمستقبل الأدب والثقافة فى هذه الديار وآمنا بجدوى العمل الذى لم نزل نقوم به للنهضة الثقافية الشاملة وتغلبنا على عوامل اليأس والقنوط التى لم تزل بعض آثار الماضى وعهود التخلف تحاول ان تحجب بها نور الصباح الجديد •

الفكر

بين الوحدة والشمول

بقلم : البشير المجدوب

لحظات فريدة تمر بنا أحيانا كأنها نسيج أضداد يخلع المرء فيها شخصه الضيق المحدود فيزدوج ويكاد يتعدد ويتسع ولا يكاد يتناهى • لحظات يسعف فيها بمثل احساس الطفل نضرة وتوثبا ، مرحا وصفاء ، طلاقة وفضولا •

فيه فطرة الصغير السمحة وبراءته الغضة وفيه توقد ذهن الكبير دقة ونضجا •• مزيج من ظرف وحكمة ، من خفة ورصانة وطيش ووقار •

لحظة تهش النفس فيها ارتياحا • ضاحكة مستبشرة • راضية مزهوة • وليس الا الفرح المحض بوجودها وتاملها الخالص لذاتها وذوات الكائنات جميعا من حولها • فرحا عبقريا ولذة مجانا من غير داع ولا سبب •

فاذا هى متطلعة مشغوفة تهتز للصغير والكبير من الاشياء وتلقط الغريب والمألوف معا ، وكأنما اكتسى الوجود كله جدة وطرافة • رفعة ونفاسة •

انها الاريحية تلك الحالة الممتازة ندنو فيها من الكون قريبا قريبا بحيث تنعدم الفوارق والمسافات وتذوب الحواجز والقيود وحتى نكاد نتخلل الاشياء وننفذ منها الى الصميم ونوشك ان نظفر بالوحدة الأم ونعض لحم الكيان وننهل من السر القدس •

هذه النشوة الخفية الاصل ألعلها شعت فى نفسك ـ وهى هى المورد والمصدر معا ـ من هذا الجو الشتوى اللذيذ البرد الشهى الرطوبة تضاحكك شمسه تارة وتضرع اليك أخرى • فى خجل ورقة • وكآبة حلوة • يوم مشترك مز • شعاع من ربيع ودمعة من خريف •

وتتأمل السماء ـ فى هذا اليوم الذى اتفق لك فيه الرحيل وقد ركبت السيارة تعدو بك خفيفة رشيقة ـ فيروعك غمام رقيق تربع بالاجواء قناعا شفافا يتسرب منه النور لأيا قد تكسرت أشعته وزاغت ، وغامت وماعت كأنها ملايين الصدف وهجا لطيفا هادئا محتشما •

ويطفر الفرح فى نفسك وتكاد ترفع بالطرب عقيرتك ولكنك تكتم بالجهد أمرك وقد خشيت ان يتفطن الناس الى سرك ويتهموا بالوهن عقلك •

ومع ذلك فان بك لـرغبة نـزاعة الى مقاسمة الخلـق شعـورك وكأن هذه الفرحة « الغبية » المجنونة كنز نفيس تنوء بحمله نفسك فلا تهنأ ولا تنعم حتى تنشره للملا وتجود به وتشرك فيه ملكا مشروعا ونعيما مشاعا ...

أو هي الشراب الرفيع أشبعك ريا وسكرا ، فضقت بنشوته ذرعا ، ورمت التخفف والخلاص من سورته فاذا أنت ترشح سرورا وتكاد تنفجـر غبطـة وسعـادة .

وهل وكدك وهمك الا ان تحيي الجمال حيثما تراه تسليما وتباركه تمجيدا وتسبيحا . شكرا وعرفانا . وتبرزه للانام صراحة واعـلانا ، ولا حـرج ولا باس . ولكن هيهات !

فأنت مهما هفوت وطمحت الوحيد القابع في سجن غربته يصطدم بالجدران تقوم في وجهه عتية قاهرة منيعة مؤيسة . فهيهات الحوار والتبليغ ! هيهات اللقاء والوصال !

ويعن لك ـ وانت مواصل سيرك ـ سرب من الطيور قد ارتفع من الارض كتلة مجتمعة متماسكة ثم اذا هو يتفرق ولا يتبدد وينتثر ولا يتشتت فينقسم طائفتين كل الى ناحية في انسجام بديع كأنه الرقص علوا ونزولا . ترنحـا واختيالا . فتتملكك الدهشة والحيرة ولا تكاد تصدق عينك كأنك تشهد صورة وهما وخيالا غرورا . وتشد ما تعجب لهذه الوحدة الصميمة والاتفـاق العجيب مع الكثرة والتفرق .

« **الطيـر .. متفـرقا .. مجتمعـا .. كتلـة واحدة .. طائـرا .. نازلا .. رقص .. وموسيقى .. هذيان ! ! »**

ان من الاشياء اشياء يقصر عنها البيان ويخونها التعبيـر ان بالزيـادة او النقصان . اشياء ما ان تتناولها وتتحدث عنها حتى تنحط وتبتذل وتتهافت بين يديك وتتلاشى تفاهة وسخفا .

انها اشياء تدرك رأسا بلا وسيط ولا ترجمان تتعذر الشركة فيها والازدواج ولا يجوز الفرد حماها الخاشع الصامت إلا املس عاريا .

فأنى للراكب حذوك ولو كان رفيقا لك حميما وان جانسك احساسا وذوقا ان يستجيب لك ويفهم عنك ؟! اللهم الا اذا تمت المعجزة وكان اللقاء في عين اللحظة وقد بطلت الشواغل وامحت الحواجز وتواردت الخواطر واتحدتما ـ في آن معا ـ شعورا وانفعالا .

وتمتد يد ناعمة بيضاء لتستريح على متكا المتعد امامك . فاذا العين منـك تسرح على صفحتها النقية ترتع لا تستقر تعب الحسن عبا . حائرة لا تدرى أيما

أحب اليها وأشهى • أصفاء البشرة ولينها • أم رشاقة الانامل ولطافتها • ام اعتدال اليد جميعا وانسجامها •

انك لا تعرف من صاحبتها شيئا ، وان رافقتك بحسنها وظرفها فى الطريق ما من صلة ولا كلام • حتى ولا همس بالجفون • ومع ذلك فها هى ذى اليد نابضة حية تنطق•ها هى قريبة منك قربا حميما•محببة مانوسة•ولكن هيهات! هذه اليد « الصديقة » التى تغريك بقبلة خالصة لوجه الفن وذات الجمال• محض استحسان وتحية ذوق • هذه اليد الكريمة النبيلة اى جدار عتيد بينك وبينها !!

فهل انت واثق ، لو تفطن اليك واكتشف أمرك ، من ان تدرك لذتك كما هى على حقيقتها • صافية عذراء • لا شوب ولا لبس • لا ظنة ولا ارتياب • لا تأول ولا تهجين •

ويقطع بك فجأة وتغص بفرحتك وتشرق وتقبع بحماك يائسا مدحورا •

البشير المجدوب

زفرات

شعر : الشاذلي عطاء الله

— 1 —

لمن أشكو له بثي وحزني (*) ... وأصفيه المودة من بنيها
ومن افضي له بحديث نفسي ... إذا ساحى خلت من ساكنيها
ومن أرتاح بالنجوى إليه ... وألمس فيه ناصحي النزيها
وقد أصبحت في بلدي غريبا ... وإن كنت المشار له النبيها
وليست غربتي إلا افتقاري ... لمن يغدو له عندي الشبيها
وإخواني مضوا في كل درب ... وأقفرت النوادي من ذويها
فلا صوت يناجيني وألقى ... على نغماته العيش الرفيها
ولا نفس أميل لها ارتياحا ... ومن دون الأحبة أصطفيها
وقد جربت حظي من زمان ... وقلبت البواطن والوجوها
فكنت أضيق بالنظرات ذرعا ... وأخشى البادرات وأتقيها
وأشعر أنني من غير درع ... أخوض لظى الحروب وأصطليها
فطورا يلتقي نحري بسهم ... يمزق مهجتي ويجول فيها

(*) كنا نشرنا قصيدة الشاعر جعفر ماجد المهداة الى شاعر القيروان الشاذلي عطاء الله وقصيدة الشاعر محمد مزهود في نفس الموضوع — وأجاب الشاعر عطاء الله على القصيدتين وهذه القصيدة الأولى موجهة الى جعفر ماجد وقد أردفها بالرسالة التالية :

« أما بعد فانه لم يقعدني عن الكتابة إليك جد يملأ فراغ أفقي ولا لهو يرفه عن نفسي بعض ما تجده من ملل وسآمة ٠ ولكنه الفتور المخدر والغيبوبة الخالية من كل طيف من الجمال ٠

لقد تحالف على مرضان : نفسي وجسماني فلا يسلمني أحدهما إلا إلى من هو شر منه وافظع معاملة وأبغض لقاء ٠

وفي هذا الجو الثقيل والحالة المرضية اقتلعت هذه الأبيات من نفسي المتحجرة اقتلاعا فأرجو أن لا تدخلها في حساب رقائقك ولا تلقها بعينك النافذة ولا تجلها أمام مرآة خيالك الصقيلة الصافية ٠ وتقبل تحيات وأشواق من يجلك ويخلص اليك أبيك الشاذلي عطاء الله » ٠

وحينا تلذع الجمرات جلدي ... وتترك فيه لفحة مشعليها
فلا أشكو ولا تستاء نفسي ... وإن نقمت على متنقصيها
ولولا أنني أحيا بأمسي ... وأحلم بالمنى وأحن إليها
وأومن بالنهاية وهي عتق ... يريح النفس من مستضعفيها
..لضاقت بي الحياة وكنت عبئا ... على عملائها ومشعوذيها
ولكني صبرت برغم حملي ... لأثقال تنوء بحامليها
ولم أشك الزمان ولم يؤدني ... من السبعين ثقل من سنيها
ولي أغلى رصيد من هدوء ... به نفسي نجت من مرهقيها
فكنت ألوذ بالصبر اعتصاما ... به إن كان منتقصي سفيها
ولم أعتب على أحد لعلمي ... بأن النار تأكل ما يليها
وكم غالطت بالآمال روحي ... وإن لم أخل من حرص عليها
ألوذ به إذا ما ضاق ذرعي ... ولفتني الهموم ببردتيها
وغام الجو واشتكت الأغاني ... خفوت الصوت عند ملحنيها
وأظلم في عيوني درب عيشي ... وأسقط في يدي وتهت تيها
..صديقي بل أخي وابني إذا ما ... تعددت النعوت لمجتليها
وملء الصدر والمهدي لروحي ... هدى ومعيذها من مبغضيها
لقد أحييت في نفسي رجاء ... وكنت ولم تزل من منعشيها
سلكت بمهجتي سبلا فجاجا ... تشوق لو أنني من سالكيها
ولكني سئمت السير حتى ... مللت إقامتي وزهدت فيها
وظلت وحشتي تزداد عمقا ... وكنت أسيغها حرصا عليها
وما خلقي التشاؤم غير أني ... رهيف الحس أستقرى الوجوها
ونفسي لا تقيم لأي لون ... من الأحقاد وزنا أو تعيها
.. ألم تشعر بذا فنزحت عنها ... وعدت كواحد من زائريها
وفارقت المغاني وهي لهفى ... عليك وما رحمت معذبيها

— 2 —

نفذت إلى الصميم فهجت نفسي(*) ... وأجريت الدموع بمحجريها
وكنت كمن نوى إخماد نار ... فأضرمها بما ألقى عليها
وهل في الذكريات إذا أثيرت ... سوى بعث التأثر في ذويها

(*) وهذه القصيدة الموجهة إلى الشاعر محمد مزهود .

لعمرك ما الحياة سوى احتفاظ — بكنز من عواطف صادقيها
نعود له إذا ما طاف خطب — بساحتنا وضايق ساكنيها
وتنفق منه عن سعة إذا ما — تنكرت الكنوز لجامعيها
فان نفد الرصيد وأرغمتنا — ظروف لا نطيق العيش فيها
فهل تجد النفوس لها قرارا — وهل تصفو الكؤوس لشاربيها
وهل نحيا على مضغ المآسى — وتبقى الطيبات لمنتقيها
..فكيف يطيب لى عيش ونفسى — تحس بغربة تقسو عليها
وتشعر بالسكون يمد ظلا — ويكتسح الرحاب وساكنيها
وتجفونى الحياة على ترامى — مسالكها ووفرة خاطبيها
أفيق على فراغ ليس فيه — سوى الأصداء توحش سامعيها
فأقضى الوقت فى عد الثوانى — وأستبدنى نهاية ما يليها
وأفرح بالدقائق حين تمضى — محملة بما قد جد فيها
كما فرح السجين بما تقضى — من اللحظات عند مسجليها
فلا الساعات تدفعها الثوانى — لتلقى عبئها عن منكبيها
ولا الأفياء تمسح ما تبقى — من الأضوا برقة راحتيها
كأن الوقت سمر فى مكان — عليه الشمس ضمت ساعديها
ولست اليوم أدرى ما سألقى — وهل ستنال نفسى بغيتيها
وهل أقضى البقية من حياتى — على صور تطيب وأرتضيها
وليس تهمنى وأنا قريب — من السبعين حال أشتهيها
وحسبى اليوم أن أحيا وحيدا — على ذكرى أناجى تاركيها
فأذكر من مضى من أصدقائى — ومن ترك الديار لعامريها
ومن كانوا بها دفء النوادى — وزينتها ونغمة مطربيها
زهورا تملأ الأنفاس عطرا — وتنعش بالشذى متنشقيها
وعاشوا كالفراقد شع منها — ضياء دافىء غمر الوجوها
وكالأطياف لطفا حين تلقى — أحبتها وتدنو من ذويها

* * *

صديقى يا مجمع شمل نفسى — ومكرمها بحضرة مزدريها
رددت لى الشباب شباب روحى — فعاد بريقه فى مقلتيها
وغنى (جعفر) فاذا خيوط — من الآمال شدتنى إليها
فمن نبعيكما نديت لهاتى — بألحان صفت لمردديها

وفي حرميكما أبصرت روحي ترفرف في خفارة أجدليها
٠٠ولن أنسى مجالس أصدقائي بدكاني ونقدهم النزيها
وقد دار الحديث على صفاء كما صفت العقار لمدمنيها
فتمتزج النفوس وتلتقي في متاهات يلذ الركض فيها
ونرشف من سلاف الشعر كأسا وجعفر كان أمهر عاصريها
ونحسب أن آلهة القوافي تناجي نخبة من ملهميها
فلا الساعات نوليها اعتبارا ولسنا في اللقاء بحاسبيها
ولكني امتحنت بنثر عقدي فأقوت ساحتي من عابريها
وراش الدهر أسهمه فأصمى وأدمى مهجتي وسطا عليها
وألجأني لأن أبقى بأرضي وأحرسها وألقى زائريها
وأحفظ ما تبقى من تراث سيذهب لو يباح لنازليها
٠٠ وإني سوف أبقى ما بقيتم على حفظ العهود لحافظيها
أقيم بها كما شئتم وأرضى بما كتب القضاء لعاشقيها
وإلا ـ وهي ثالثة الأثافي ـ «فلستم في الحياة بداخليها» (I)
رضيت بما رضيتم فاذكروني بما لقي الشهيد على يديها

الشاذلي عطاء الله

(I) من قصيدة جعفر ماجد ٠

وضع القصيدة في الشعر التونسي المعاصر

بقلم : محمد الصالح الجابـري

ـ الربع الاول من القـــرن ـ

(1)

يسود زعم خاطىء فى أنفس الكثيرين من أن ثورة القوالب والاشكال التى جدت مع قيام مواجهات الشعر القـديم ، والشعر الجـديد ، تعود نشأتها الى طلائع الخمسينيات • وهو زعم نراه يستشرى ويتمكن الى حـد أن شـارف اليوم لان يصبح واقعا وحقيقة لا مرد لهما ، ولا قبل لدفعهما • واذا ما كان هذا يقع لحساب الزمن والتحول نظرا لما ستثمره التجربة الجديدة وتتمخض عنه مما نحن فى حاجة اليه من دفع وتطور ـ فمـن الحتمى ايضـا ان ننصف الاسبقين ، ونضع جهودهم فى اطار المعطيات التى توفرت لهم ، ونقرن ونوازى علنا بذلك نخلص لأنفسنا ، ونخلص لتاريخنا ، ونجد مكاننا عن جدارة فى الدورة الكبرى للادب التونسى التى تمتد الى قرون خلت ، واخرى ستتلاحق ، وستتوالى فيها النزاعات والصراعات ، لنأخذ مكاننا كقدامى بين محدثيـــن مهاجمين ! •

فالذين سبقوا تجاربنا هذه قدموا كثيرا لأدبنا ، وعبأوا بما قدرت جهودهم خواء عشرات السنين • القصائد بعض ما انتجوا ، ولكن اعمـارهم صهـرت بالحرف ، واكتوت بالكلمة ، وعشيت أبصارهم فى الزوايا خلف الشمـــوع يبحثون عن فكرة يغتنى بها أدبنا ، ويسهمون فى البناء ما وسعت حالهـــم وظروفهم • هؤلاء ـ والوصف لا يفى بها فى تلك الفترة من قساوة ـ لهم ايضا ثورات وثورات على القوالب والاشكال ، وعلى القيم بالتالى • أما كان مجديا ورائعا أن نذكر باعتزاز نتاج معاركهم ، ربما استلهمنا منها ، وربما رأينـا فى بعضها ما يوجب الوقوف • فحتى اليوم تجمع المحـاولات التى وضعت أسسا للتعريف بالشعر التونسى المعاصر على أن المعركة على مستوى جبهتين تتنازعان البقـاء والجدة ، لم تبدأ الا قبيل الاستقلال بسنـوات قليلـة بظاهرة خروج بعض الشعراء عن القوالب المألوفة ، الامر الذى نشأ عنه جدال مستمر ما يزال وقد لا ينتهى • اما ما كان من الانفلاتات السـابقة ، وامـارات التجـديد فهو لا يعدو الاهتمام بتطور وضعية القصيدة من الخوض فى مسائل قديمـــة ، وموضوعات عتيقة الى تجديد فى الكلمة ، ونزوع الى مجاراة تيارات جاءت مع العصر ، كالرومنطيقية ، والطبيعية مثلما فعل ابو القاسم الشابى فى نهاية

الثلث الاول من القرن الحالي • وبمفهومهم هذا نخلص الى ان لنا حركة تجديدية حصلت في الثلاثينيات ، وأثرت •• وانتهت • وهناك انقلاب الآن ، يتواصل منذ الخمسينيات ويؤثر ••

الحركة الاولى كانت استجابة للقاح عالمي •

والانقلاب الثاني كان تواصلا لما ـ يسود مفهوم الشعر العربي من الصيرورة• ومن هذه الوجهة كان على المجددين لكي يدعموا سلطة هذا الانقلاب ، ويضمنوا كسب الحركة السابقة أن يستقبلوا بالرفض كل ما لا ينخرط في مجموعتهم ، إما لكونه وجها جامدا بليدا ، انتهى الحكم عليه • واما لأن الاعتراف به مضايقة نفسية ، وحالة تذكر بوجوب الثورة المستجدة •

ومهما بدا أن المعركة بين القديم والجديد في مجلاتنا وصحافتنا لا تجرى مكشوفة سافرة فهي على كل حال واقعة وامر حاصل ، والزعم الخاطىء يتوغل يوما بعد آخر ، ويجعل الهوة تعمق ، ويقوى الانكار ، ويغذى جيلنا «الشاعر» هذا بفكرة خطيرة هي سجب المحاولات الأسبق ، والصاق النعوت ، والاوصاف السفيهة بها • ومع ما يستبطن الانكار هذا من دلالات العقوق والتجني فهو « عقدة » ضاعفت ما تفشى من احتقار للادب التونسي ، ولشعرائه ، ورجالاته ، في حين ان اكداس الورق في الرفوف الكابية تنتظر ساعة الخلاص كي تبوح وتفرز ، وتعرف بالثورات التي كانت لها • والثورات التي كانت عليها • فما من فترة مرت في تاريخ حركتنا الشعرية المعاصرة لم توجب احساسا بتغيير ، ولم تدع الى اثبات تململها مما كان يوهن كاهلها من التركات القديمة • الثورة ما بين القديم والجديد ، كانت دائما حاضرة وموجودة منذ مطلع القرن حتى اليوم سنة سنة ، وجيلا •• جيلا وقد سجلت الصحافة التونسية الصادرة في الربع الاول من هذا القرن وعددها يزيد عن العشرين صحيفة ، أمارات لكل ما حدث• ونقلت الينا ما كان يدور من مواجهات مختلفة ، وحملت الينا الآراء والافكار حول الشعر •• وحول مفهوم بناء القصيدة ، ووظيفة الشعر والشاعر لعله من اللائق قبل أن نعرض لجميعها ، ونلقى بعض الاضواء على منازعها أن ندل الى الخطوط والاتجاهات العامة للشعر في ذلك الحين ، والمتمثلة في تيارات ثلاثة : أولاها تيار الأهاجي والمدائح(1) والاخوانيات بطريقته التقليدية في الاستهلالة ، والوقفة المتخاذلة على «الاعتاب الملكية» وبالعواطف المصطنعة الزائفة • وثانيها

1) من أسلوب المدائح، الاستهلالة الغزلية في مثل هذا القصيد للشاعر أحمد أديب : نشر في 3 نوفمبر 1905 • جريدة (الترقي) ، وهو مديحة توجه بها للملك في عيد الفطر :

قل للعـواذل حلقوا أو قصـروا ... زارت سعـاد وأنتـم لم تشعـروا
ولهـا أتيحت فرصـة ما أنتـــم ... أدرى بهـا من غافـل لا يعـــذر

موضة التشطيرة (2) والتسبيعة والتخميسة بأسلوب عهود الانحطاط ، والشعوذة والبهلوانيات ، والفراغ • وثالثها تيار يقدح زناد الفكر ، ويصرخ بأكثر من صوت معلنا انه يناضل ويأبى ويتحدى •

وحول هذه التيارات تدور القوافي والاشعار ، ويجرى الصراع خفيا آنا ، وفى العلن والجهر طورا آخر • فقد كتب الشاعر عبد العزيز المسعودى فى

---

(2) التشطير والتخميس تجد له نماذج كثيرة فى جرائد (القيروان) و(الحقيقة) و (الترقي) و(السعادة العظمى) و (الصواب) و(التقدم) •• وغيرها •

ومن أنماطههذا الذى عرضته جريدة (الحقيقة) فى عددها الرابع 23 جانفى 1923 : قائلة : (اطلب من الادباء تشطير البيتين اللتين هما من نظم الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وهما :

اذا سبنى نـذل تزايـدت رفعـة   وما العيب الا ان أكون مسابـبـه
ولـو لم تكـن نفسى على عزيـزة   لمكنتهـا من كل نـذل تحـاربـه

وكان من الردود الكثيرة التى جاءت للجريدة • رد بتاريخ 6 فيفرى 1923 بامضاء « ابن هلال » •• وقد شطر البيتين اللتين نظمهما الامـام الشافعى بقوله :

اذا سبنى نـذل تزايـدت رفعـة   وحزت فخارا فوق مـا أنا طالبـه
وأمسكت قولى دونه وهو صاغـر   وما العيب الا أن أكون مسابـبـه
ولـو لم تكـن نفسى على عـزيـزة   أبت أن يكون الذل للحر مشربـه
وعافت صنيعـا دنسته المطامـع   لمكنتها من كـل نـذل تحاربـه

ووردت ايضا تشطيرات اخرى عديدة • وقد اكتشفت ان السبب مثلا فى فتح هذه الجبهة من التشطير ، وتجنيد الشعراء لها هو خصومة دارت بين صاحب الجريدة «رشيد بن على الجريدى » • وبين صاحب جريدة « الوزير » الطيب بن عيسى • فراى صاحب (الحقيقة) أن يربأ بنفسه عن مسابة « الوزير » • ويدعو الناس لنظم الشعر فيه •

ولنورد على سبيل التفكه بعض ما كان يساهم به اولياء العهد فى تلك الفترة من تغذية روح « التشطير » بين الشعراء • وهو ما أوردته جريدة (الترقي) ، فى عددها 14 جوان 1906 قائلة : (••• وانه لم يزل يرد علينا فى كل اسبوع تشطير حتى الاسبوع الفارط فان سمو «البرنس» سيدى محمد الصالح باى نجل سمو ولى العهد الهمام تكرم بارسال هاته الابيات ننشرها بنفسها :

الى محيـاك نـور البدر يعتـــذر   ضياء وجهك منـه الشمس والقمـر
وعذب ثغرك معسـال على ظمـا   وفى محبتـك العشـاق قـد عذروا
كيف القعود على النيـران يا أمـلى   ونار هجرك لا تبقى ولا تذر •• الخ

سنة (1903) عن حياة (الشعر وترقيه) يشكو طغيان التيار الاول الاهاجي والمدائح في قوله : (وبعضهم سلك مسلك الاهاجي في الزمان الحاضر، ومديح الاقدمين . وتوصل بهذا الى تقبيح حال المجتمع في عيون ذويه حتى كان ادعى الدواعي الى فقدان الامل العمومي بين الافراد كما هو مسلك بعض الجرائد اليوم). ومقالته هذه هي اول ما امكن ان نهتدي اليه في مطلع القرن من الآراء حول الشعر ، وهو يذهب في جزء آخر منها نشر بالعدد الثاني من نفس المجلة الى ان «الشعر معنى عظيم يدرك بالوجدان ، وان الذين حصروه فيما عرفوه به ، ضيقوا واسعا ، وجعلوا اسما على غير مسمى » . ثم هو يتعرض في فصل ثالث الى منزلة الشاعر ومشكلات القصيد وبنائه قائلا:(وكانت منزلة الشعراء عند العرب في حفظ الآثار واستبقاء الذكر كالهياكل التي كان يقيمها قدماء المصريين لينقش عليها المهرة من الصناع ما تميل الامة الى حفظه كتابة وتصويرا ، وذلك لان للشعر عندهم مكانة لا تعلوها مكانة حتى نقل عنهم انهم يسجدون لبعض القصائد مع انهم كانوا يستعملون الشعر ويفهمونه بالنظر لوجهته اللفظية فقط،ويهملون النظر من جهة تأثيره ووقعه فيالنفوس على مقتضى ما ادركوا منه حسب تعاريفهم البلاغية والعروضية . مع انه زيادة على كونه موزونا هو حالة من حالات النفس . ويا ليت شعري ما كانوا يصنعون لو حضروا الآن وقد استعمل الشعر مرسما لتمثيل ، وقام بوظيفة السينما توغراف ، والفوتوغراف معا . فالبارع اليوم من تتفجر المعاني من قريحتـه فيزنها بميزان المرسمن ، ويصوغ لها على قدرها قوالب من الالفاظ والتراكيب. وبالجملة يصور في أشعاره ما شاء حتى يخال من يقرأ أشعاره انه ينظر الى لوح من الالواح المصورة بقلم الرسام وفرشاته (3) » .

ويعود نفس الشاعر المسعودي في مقالة له في نفس السنة وبالعددين (19 و20) وقد حمل فكرة اخرى هي أجرأ من الرأى الذي عرضه في حرية الاختيار التي أتاحها للكاتب في انتقاء القالب الذي يختار ، والصورة التي يتخيـل . عاد ليدعو في جراة الى مزيد من التحرر والانفساح قائلا في (الشعر في النثر): (ولكتاب الافرنج اليوم ومن قلدهم من كتابنا المعاصرين اساليب غير متعارفة من قبل في الكتابة الشعرية منها استعمال الشعر في النثر . فترى الكاتب يوزع انواعا من الكلام مختلف المواضيع فوق لوح التخيل ليركب منهما الجمل المطلوبة له في غرضه المخصوص كما يفرغ الرسام أنواعا من الادهان المحلولة لايجاد اللون المناسب لرسم شكل أحب ترسيمه » .

وقبل هذين المقالتين كانت المباحث في الشعر لا تعدو الخروج عن كونه

◆ ومن اشكال التضمين .. يجد القارىء في مقال الشاعر نور الدين صمود المنشور بمجلة الفكر أفريل 1964 نماذج لذلك عند حديثه عن (الشعر التونسي ماضيه وحاضره) .

(3) مجلة (السعادة العظمى) الاعداد : 4 ـ 6 ـ 8 (1903) .

ديوان العرب وعن كون الشعر هو نوع من انواع الكلام عند العرب ٠ فمثلا حينما اصدر الشيخ الخضر بن الحسين مجلته (السعادة العظمى) افتتحها بمقدمة ذات فصول واستطلاعات متسلسلة بحثت مختلف ضروب الادب وتفرعاته ، ومن بينها « الشعر » فقال عنه : «هو النوع الثانى من انواع الكلام وهو كلام مفصل قطعا متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الاخير ٠ وله مباحث شتى ، وليس من الغرض الآن الانطلاق اليها فان ظلها لغرة هذه المجلة غير ظليل ٠ وخلاصة ما نقوله الآن هو ان دراسة شعر العرب يتدرع بنا الى فهم نظم القرآن ، واحوال النبى صلى الله عليه وسلم ٠ فقدها من الدين ضربة لازب ، واما انشاؤه فمع احكام وضعه وانتقاء مواده التى يجب نحته منها فحلية للعلماء ، وزينة للادباء ٠ ومن تعاطاه لفضيلته لم يوحشه كساده (4) »٠

ولا شك اننا لاحظنا التفاوت فى النظر لمسألة الشعر التى نظر اليها الشيخ الخضر بن الحسين من زاوية دينية صوفية ، أتبعها بفصول اخرى عديدة عن « براءة الشعر من القرآن » ٠ ، يثبت بها نظرته هذه ٠٠٠ وبين رؤيا الشاعر عبد العزيز المسعودى التى جاءت فى الاعداد الموالية ، والتى أمكن لها ان تحدث انقلابا سريعا فى اتجاه المجلة خصوصا فيما يمس مفهوم الشعر ، اذ بتتالى الاعداد نرى ان الابواب التى استحدثت فى الاول بالنسبة للمساجلات الشعرية ، لم تلبث ان اختفت من تلقاء ذاتها ليبرز الشعر فى انتفاضة مفاجئة غيرت منه الاسلوب ، وأعطته تسمية جديدة ٠

كانت المجلة فى العدد الثانى ، قد فتحت بابا «للاسئلة والاقتراحات» ، وطرحت مسابقة تقول : (ان نثر المنظوم فى فن البديع يسمى بالحل ، وعكسه العقد ، والمطلوب حل أبيات أبى الطيب الآتية بعبارات رشيقة) :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه — حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورده التقى — وحب الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد — الى ان نرى احسان هذا لذا ذنبا

وقد اضافت للنثر المنظوم ، والنظم المنثور مسابقات فى التشطير ودعوات ملحة للقراء فى ان يقبلوا على باب الاقتراحات والاسئلة هذا ٠ ولكن ما عتم ان لمسنا بعد مقالات المسعودى فى الشعر تحولا طارئا ، كان من أهم ما أسفر عنه هو الغاء هذه الابواب ، وصدور قصيدة للشيخ الخضر بن الحسين فى العدد الموالى ، بعنوان « الشعر العصرى » ٠ وهى تسمية جديدة للشعر ، والتقاء بالافكار الجديدة التى وصفها المسعودى ٠ وفى القصيدة زيادة عن الاسلوب غير المعتاد ، هناك الافكار المعاصرة ، المتلاقية بالواقع ، والمتجاوبة معه :

أيعاتب الزمن الذى لا يسعد — وبنوه فى مهد البطالة هجد
مهلا فما هو بالملوم ومن رمى — سهم الملامة نحوه فمفند

(4) نفس المجلة : العدد (2)

لو أفرغوا فى وسعه ما جل من عمل لاغدق فيه عيش أرغد
أرأيت كيف شدت بلابل سعده وزهت ببهجته غصون ميد
أبناء هذا العصر هل من نهضة تشفى غليلا، حرة تتصعد
هذى الصنائع ذللت أدواتها وسبيلها للعالمين ممهد
وكذاك بذر العلم أخرج شطأه ودنا جناه فما لنا لا نحصد

وتسربت تسمية « الشعر العصرى » الى كثير من القصائد الاخرى ، فأمكن ان يتأثر سير الشعر وتدخل على مفهومه تغييرات عديدة ٠ وينقلب القصيد فى نظر شعراء وعوا رسالتهم من مجرد اللعب بالشطرة والاخرى ، والتسلى بالتخميسة والتسبيعة الى محاولة لفهم ما يدور فى العصر ، وما يجرى فى دنيا الناس ، من وجوب الكفاح لاكتساب وسائل التصنيع ، ودعوة الى النهضة والانفتاح على مباهج الحياة ، ونداء الى التعاضد فى القصيد الذى نشره محمد الشاذلى خزندار سنة 1909 بجريدة (التقدم) تحت عنوان (الشعر العصرى) :

ألا بالتعاضد فلنبتد فمدوا يديكم فهذى يدى (5)
فهذا بجاه وهذا بمال وهذا بعلم لكى نهتدى
وهذا برأى يشير علينا وهذا بروح لنا نفتدى

وتناقلت المجلات والصحف الشعر العصرى ، وأصبحت تفسح له مكانة محترمة فى صفحاتها ، فأخذ الرهط القديم يندحر ويختفى فى قبو الخيبة ، ويتضاءل « تشحيذ الاذهان » بالالغاز ، والتملق ، والاخوانيات ، وهو ما ثارت معه حركة معاكسة قادها السلفيون على الشعر العصرى فى غضب جامح على هذه الثورة المتجددة التى احالتهم فى لحظات قصار الى مجرد « أحلاس للقديم » واشباح من الماضى ٠

فكتب أبو تميم فى جريدة « المنير » سنة 1920 متصديا لهذا التيار ، وداعيا الشعب لمقاومته فى مقالة تحت عنوان « الشعر » فيها يقول : (6) (الشعر أيها الادباء حفظكم الله ورعاكم ولا اخالكم الا تعلمون شعور تؤيده قوة روحية مدفوعة بعامل التأثر تمتلك بها المشاعر والقلوب ، وتستعبد الالباب ٠ ذلكم هو الشعر الذى قرأتم من آثاره واطلعتم من أخباره على ما كون فيكم باعثا على حب الانتساب اليه ٠٠ ولكن بكل أسف ما كادت تبرز الصحافة التونسية أخيرا فى عالم الظهور حتى تراءت لنا فئة ظهروا بمظهر المرشدين للامة ، ودعاة للاصلاح شغفوا فيما يظهر بموالاة أسمائهم للقب أديب أو شاعر أو غير ذلك من ألقاب التضخيم ، فأخذوا يصورون القول فى صورة اوزان مقفاة على شاكلة الاوزان الشعرية يخيل للرائى بحسب هيئتها انها شعر وما هى بالشعر فى شئ » ٠

(5) (جريدة التقدم) للسيد البشير الفورتى ، نشر القصيد فيها فى 29 أفريل 1909 ٠

(6) المقالة بتاريخ 2 سبتمبر 1920

ويقول ابو تميم واصفا وسائل هذه الفئة المصلحة المارقة عن اصالة الشعر فى نظره : (انهم احتكروا بعض الجرائد الراقية بصورة تكاد تذهب ببهاء الصحافة العربية ، وما ذلك يخفى على من وهبه الله ملكة التمييز بين الحسن وضده ٠٠٠ على ان كثيرا من المطالعين اصبحوا اليوم لا يلتفتون الى القسم الشعرى منها لما تعودوه فى اكثر القصائد من القول المستهجن والكلام المتضارب، والموازين المختلة، والالفاظ العامية» ٠ ثم فى انفعال وتوتر يصرخ صاحب المقال قائلا : (على رسلكم أيها الشعراء العصريون فما كل كلام موزون مقفى بشعر ولا كل شعر صادر عن شعور ، لهذا أدهشنا ما حل بالادب من التشويه والمسخ ٠ فمن ذا الذى يؤاخذ بهذه الخيانة ؟ فماذا تصنعون أشعرا ما تنظمون ام على تنسيق الانشاء الساذج فى صورة الشعر تكتبون ٠ فان كان ما تسمونه شعرا فى عرفكم فلننتدب الشعر « الحقيقى ») ٠ وينتهى المقال الذى كتبه أبو تميم عند هذه الحدة والاصرار على العودة الى مجارى الازل : مصنب الخليل ، والآباء القدامى ومحكمة ابن شرف : (ليتكم تؤسسون للشعر حكومة تسير على مقتضى دستوره القديم والا فالام تبقى هذه الفوضى سائدة بين الشعراء ٠ والى متى نسمع هذه الغوغاء التى كادت تذهب بريح الادب التونسى ٠ ذلك ما اوجب علينا القيام بالحث على تاسيس محكمة شعرية ومؤتمر انتقادى يحمى ذمار الادب ، ويحفظ حوزته من غوائل التقلبات الزمانية وعبث المعتدين ٠ ورجاؤنا ان تؤسس هيئة المحكمة على أطلال محكمة أمير الشعراء وحكم البلغاء النقادة ابن شرف بمدينة القيروان الزاهرة ٠ فافسحوا لنا أيها التيروانيون مجالا فى جريدتكم الغراء لانتقاد « الشعر العصرى » ٠ ولكم على الادب وأهله جزيل الشكر والامتنان »(7)٠

ولئن تبدت مقالة ابى تميم بهذا الهوج ، ناحبة ، ساخطة ملتاعة ترغى ، وتزبد ، وتنعى ، وتؤبن ، وتستعدى ، فلقد كانت هى آخر ما تبقى فى الشمعة من النفس الاخير ٠٠ كانت الاحتراقة النهائية ، والصدى الذى تردد وعاد الى الحلق مع ما تبقى منه ٠ وبذلك انطوت آخر الكوابيس التى استمرت تستعبد الشعر ، سنوات عدة ، وشرعت الجرائد صفحاتها تتلقى اشعار سعيد أبى بكر ، لينشد فيما أنشد من الشعر العصرى فى جريدة (صدى الساحل) سنة 1921 تحت عنوان (صدى الساحل يناجى الساحل والساحل يناجيه ، فاستمع يا جناب العميد تلك المناجاة) :

جعلت شعارى خدمة الحق دائما   واعلاء شأن الشعب ابغيه مشربا (8)
وأملت ان أطوى البلاد مناديا   الى راحة (الانسان) شرقا ومغربا

(7) اذا كنت قد اطلت فى عرض الآراء والافكار ، والاقتصاد فى التعليق قدر الامكان ، فذلك اعتقادا منى بأن الآراء وحدها كافية لابلاغ ما اريد تاديته عن ذلك الصراع ٠٠ والتنازع ٠

(8) جريدة (صدى الساحل) بمناسبة زيارة العميد الفرنسى الى سوسة فى 24 مارس 1921 والقصيد من بدائع ما قيل فى الثورة ٠

بهذا تكلم يا صداي أمامه فأنت لساني ان وقفت مخاطبا
وحدث عن الدستور فهو كجنة حوت لذة العيش السعيد وأطيبا

ولعل اروع ما أنشد من « الشعر العصري » ، كان في هذا القصيد الجريح ، المدعن سخرية وتهكما ولذاعة ، والمفعم وعيا واحساسا • الطاهر الحداد يتحدث في سنة 1923 بجريدة (الاتحاد) عن نتائج الميزان :

لا كنت يا أيها الميزان منتعشا أضعت شعبا ضعيف العد والعدد
أوقعت قومك في ضيق وغيرهمو بالقبض منك غدا في عيشة رغد
جوعتنا أيها الميزان وانتفخت منك البطون لغير الاهل والولد
وتدعي العجز بهتانا إذا طلبوا وأنت للغير وهاب بلا عدد

والقصيدة مطولة تضم واحدا وثلاثين بيتا ، اقتطفت منها جملة الابيات التي أوردتها تدليلا على أن الشعر العصري هو ما تمثلت معاصرته في التعبير عن أحاسيس الشعب ، ورغبات البلاد ، وقد طال الجدال حول « الشعر العصري » والشعر التقليدي الى حد دعا بعض الكتاب الى انهاء الخصام ، ووضع حد للمعركة • فكتب سعيد أبو بكر مقالا بعنوان (يا ضيعة الاوقات) (بلسان الشعب) يقول : (شهور (9) عديدة قد مضت والكتاب التونسيون يشتغلون بتلك المسألة الخطيرة التي أصبحوا يملأوون بها أعمدة الصحف العربية التي لا تزيد عن تحليل كلمتي القديم والحديث أو الالحاد والجمود ، صفان من الكتاب يرمي كلاهما الآخر بنعوت أكثر ما يقال فيها أنها حبر على ورق لا مضرة فيها ولا فائدة منها • هذا يرى خصمه كافرا وجاهلا يستمد ما يكتبه من بعض أفكار رجال مصر • وذاك يرى خصمه جامدا وفي حاجة الى من يعلمه حروف الهجاء ويعنون له رسالته » • وكتب مصطفى خريف في مقال له في نفس الفترة مساندا رجال الشعر العصري مهاجما أولئك الذين يريدون حبس التجارب الادبية في مجال الخيال قائلا : (لم (10) يعهد منذ القديم أو الحديث أن الحضارة البشرية تقام أصولها على الخيال أو تبدر ثمارها وتصلح اذا سقيت بماء الوهم ، أو تعطى أكلها بالمباحث الادبية والمساجلات الشعرية والافتتان في ضروب البديع والاضطلاع بأصول البلاغة » • ومساهمة أمير الشعراء الشاذلي خزندار في الانتصار لهذه الحركة كانت بالقاء محاضرة عن (حياة الشعر وأطواره) سنة (1919) بقاعة الخلدونية نشرت مفصولة في نشرية خاصة ، ذهب فيها عند تعريفه للشعر » (الى أنه (11) شيء يجيش بالصدور

---

(9) • (لسان الشعب) ـ 5 جوان 1929 •
(10) • (لسان الشعب) ـ 9 جوان 1929 •
(11) • نشر من المحاضرة جزء قليل بمقدمة الجزء الاول من ديوان الشاعر محمد الشاذلي خزندار (1923) •

فتتنفسه الالسنة على اختلاف لهجاتها فهو فى كل الامم عنوان الرقى ولسان الشعور ، وصوت الضمير ، ورائد الوجدان وترجمان الاحساس ، وما تلكم القواعد الفنية الا تعريف للنظم ، وهى المظاهر التى يظهر فيها هذا النور الباهر بل هى الاوانى التى يسكب فيها هذا الرحيق الزلال » ٠

ويتضح جليا أن المعركة أفضت الى كسب حتمى نتيجة إثمار الشعر العصرى ، وأن الصراخ الذى ارتفع سرعان ما استعاد بعد لأى هدوءه واتزانه٠ وأصبح الشعراء العصريون يجدون بعد أن اتضحت الغاية ، وراء خلق منهج لهم ، واتجاه ثابت مدعم ، بعيدا عن الغوغاء ٠ وإنا لنعد هذه الحركة ثورة من الثورات (12) التى عرفها الشعر التونسى فى الربع الاول من هذا القرن لما أتت به من تحويل جذرى لمبنى القصيد ، ووضع مشكلات عديدة للبحث منها : الشعر من أين ٠٠ والى أين ؟٠

والشعر ما هو ٠٠ وكيف يكون ؟ وما هى مهمته ؟٠

ولن يمكن أن يسقط من الحساب ، أن الشعر العصرى ، استهدف من أول وهلة خدمة الشعب ٠٠ ومطامح الشعب ٠٠ ونبل الشعب ، والثأر لكرامة الشعب ، بطارحه المشاكل ، ويعى حلولها لأن : (للشعر مفعولا قويا وأن للشعراء مكانتهم فى كل انقلاب ، وجد على وجه الارض ٠ ولا أعنى بهذا الا من يصدق عليه لفظ شاعر ، وينطبق عليه انطباقا صحيحا ، ولا نعنى به من يضع كلامه فى كفتين فاذا تساوتا أرسله ، وقال هذا شعر مبين ٠

تصفح كتب التاريخ ونقب فى حوادث الانقلابات التى حدثت فى الامم من سياسية وعلمية وأخلاقية ودينية وغيرها ، تجد للشعر والشعراء فى كل انقلاب أثرا لا ينكر ، وعملا عظيما لم يهمله التاريخ ٠ إذا فللشاعر وظيفته فى الحياة العملية وله عمله ، وله أثره طبعا ٠ واننا اليوم فى بداية نهضة وفى عصر انقلابات مختلفة يوشك أن ينالنا منها ما قدر لنا وما أعددنا أنفسنا لقبوله وهضمه فخليق أن نضيف الى تلك الروح السياسية روحا أدبية حتى تستكمل

• ساهم السيد الهادى العامرى فى هذه الفترة بكتابة مقالة مطولة حول الشعر نشرها بجريدة (لسان الشعب) أيضا بعنوان (ما هكذا تورد الابل يا سعد ؟) ٠ يرد فيها على طه حسين فى آرائه فى الشعر الجاهلى ٠

(12) • وهنا أخالف نور الدين صمود فى مقاله عن (الشعر المعاصر ماضيه وحاضره) (الفكر – أفريل 1964) قوله عند حديثه عن شعراء الثلث الاول من القرن : (إن شعر الثلث الاول من القرن الحالى لم يكن خصبا ولم تسر فى عروقه دماء الحياة ولم يعمل أصحابه على تجديده لمجاراة روح العصر » ٠

النهضة أركانها وتتم أسباب التطور والحياة • إذا فنحن فى حاجة الى شاعر والى شعراء ، وفى حاجة الى شعر (13) » •

هذه الوجهة الأخيرة ، وقد قيلت سنة (1923) هى تمت بصلة الى المنحى السياسى ، حيث أنها لأحد الذين مثلوا الحزب الحر الدستورى التونسى فى أولى فتراته • وإيرادها هنا يعطى شكلا جديدا للمعركة ، كيف تمت على نطاق شاسع شمل فيما شمل السياسة والصحافة والادب ، وشاركت فيه كل الاطراف بما يوائم مناهجها ويماشى مخططاتها ، وهو برهان مشرق على أن التجديد ، ــ وهذه الثورة فى الشعر بالخصوص ــ كان لها مساس بحياة البلاد وبحاجة الناس الى التغيير ، والتحرك فى عفن التقليد والتحنيط الذى ران وسيطر • وإنى لأبصر من خلال آراء زين العابدين السنوسى فى هذا الموضوع بالذات جراءة واعتدادا قل أن توفرا لغيره ، ونفاد بصيرة ما كان له شبيه بين كتاب جيله • واستسمح القارىء مسبقا إذا ما طال مكوثى واغترافى من صفحات ما كتب فيما يختص بموسيقى التركيب فى سنة 1925 ، عند ما يقول : (إن العرب (14) اعتبروا الشعر المظهر الأسمى للأدب لما اختص به من اتزان الكلمات وتناسقها وترجيعة القافية ، وعلى ذلك توسع الاندلسيون فى زيادة أقسام جديدة لأبحر الشعر الستة عشر ، وأخذ المعاصرون فى تغيير نظام القافية وهو عمل لا بأس به إذ لا منافاة فيه لمرمى الوحدة التى هى الغاية المعقولة لوضع القواعد وتدوين التآليف •

نعم إن مرور الزمن أثر فى بهجته من حيث ابتعاد ذوق هذا الجيل عن الموسيقى والانغام الاندلسية إلا أن ذلك أمر ضرورى لكل مجتمع ، والفن دائب التحول بطبيعته لأن الاذواق تستبدع الطريف بطبيعتها وتميل الى التحول على أى حال » •

ويتخذ زين العابدين السنوسى من الوان الابداع الاخرى مجالا ليقارن بينها وبين طبيعة الشعر كفن قابل للتحول ، نام ، متطور ، فيضيف : (خذ لذلك مثلا ، الموسيقى الاوروبية ، فانها بعد ان تغلغلت فى الرقة على المنهاج الالمانى انقلبت بعد الحرب فجأة ، فاذا زنوج أميريكا يرأسون حفلات القصور الكبيرة، ويضربون (الجازباند) بنغماتها الخشنة التى لا تلبث ان تنهك قوى الراقصين بهزاتها المتواترة المتتابعة ، وقد كتب الكتاب كثيرا لردع المجتمع عن هذا الصخب الوحشى الذى حل مكان الفن الرقيق فجر معه فنا آخر للتدهور اذ

---

(13) ◆ من المقدمة التى كتبها محمد محى الدين (القليبى) للجزء الاول من ديوان محمد الشاذلى خزندار الذى طبعه حسين الجزيرى صاحب النديم سنة (1342 هـ.) •

(14) ◆ بعض مقدمة الجزء الثانى من الديوان المذكور ــ طبع دار العرب سنة (1344 هـ.) ــ والمقدمة بقلم زين العابدين السنوسى •

اصبح الرقص ايضا تشنجات عصبية يلتصق فى اثنائها الجنس الخشن بجسوم الجنس اللطيف المتجرد » !٠ ومثال آخر من فن الاكساء ، والتحلية: (بل يمكننا ان نمثل ايضا لتبدل الذوق بمناظر الدهـان ، فقد كان جمـال الرياش والتصوير واللبوس فى تناسب الالوان وتماثلها حتى اذا قضى عنها بالتغاير تغايرت فى انسجام شيئا فشيئا منظور فيه الى عدم التنافر فأصبحت اليوم على العكس من ذلك تماما ٠ فالستائر والاثاث التى كانت من الـوان محتشمة ، اصبحت لا تقل تلونا عن علم دولة الشريف حسين فيهـا الابيض « اليقق » والاحمر القانى ، والاخضر الزبرجدى والاسود الفاحم وربطة العنق التى كـانت فى السنيـن الفـائتة اما سـوداء او بيضـاء ، اصبحت اليـوم كقـوس قـزح فيها سبعة الوان متضاربة فى رقـاعة بهيجـة ٠ بل ان نفس تدمية الوجه وتحسينه قد سارت فى هذا المهيع الغريب ، فالفتاة التى لا تصور من فيها مثلثاملتهبا قائم الاضلاع ولا تحيق بعينيها هالة من الزرقة المخضرة، ولا تلبس من بين معقد زرها الى ركبتيها خمسة الوان متنافرة حتى تصبح أشبه بطيور المنطقة الحارة ، فيها جميع الوان الطبيعة ، واشكالها ٠ ان الفتاة التى لا تسلك هذا الطريق اليوم لا تعد من صاحبات الذوق ٠» وتصل بنا موازنة الزين فى أسلوبها الشعرى الخصب الى هذه النتيجة التى تقـول : (وسواء حكمنا بصواب هذا التطور او خطئه فان تياره جارف لا يمكن وقاية امة تعد المائة مليون منه ٠ فان الذوق عنصر من عناصر العاطفة ، وهو عنصر تعلم استخدام العقل فلا يمكن ان نجعل من العقل والمنطق سلطانـا عليه » ٠ ويخلص الى مسالة الشعر ثانية فيؤكد انه (لا يرى فائدة من محاولة كبح جماح لعاطفة التطور فى الاوزان الشعرية والموسيقى ٠ لا وزنا وقافية واحدة٠ لكننا نلاحظ انذلك التطور يجب ان يكون طبيعيا لا من نوع التعلق بالشذوذ والتفرد٠ وهو لا بد واقع ٠ على اننا لا نكاد نجد من لا نعتقد ان اسقاط القيود الزائدة مساعد على استثمار مواهب قد يوقف تيارها ذلك الارهاق الذى لا طائل تحته من القواعد والقوانين » ٠ ويجد الزين مرة اخرى وراء المقارنات فيضرب امثالا لنمو الموسيقى بما قرا من أشعار صفى الدين الحلى :(فعجبت برقته وانسجامه الا أنى لم أر له قصيدا مدرسيا (Classique) يضارع موشحه الذى مطلعه :

شق جيب الليل عن نحر الصباح أيـهـــا الـســـاقـــون
ودعــانــا للـذيـذ الاصطبــاح طـائــر ميـمـــون ٠٠٠ الـخ

وتساءل بعد عرض القصيدة بأكملها قائلا : (وهل كدر خيـالها ولغتهـا الجميلين ، تغاير القافية ، وخروج الوزن عن أنغام قحطان !٠ فالتطور إذا واقع الآن ومن قبل فى هذا القسم من الأدب وهـو حيـوى بالنسبـة للمستقبل خصوصا متى ازداد روجان العربية بين العموم بفضل الوسائل الحديثة من التعليم الاجبارى وروجان الصحف مما لم يكن موفورا للاوائل » ٠

أقف أخيرا بعد هذا العرض الخاطف للثورة الاولى التى غيرت وضع الشعر التونسى المعاصر فى مطلع هذا القرن ، لأقول : أوكان ممكنا أن ينسى جيلنا صفحة رائعة من تاريخه الأدبى ؟ أو كان باستطاعتنا أن نفخر ، ونتباهى ، ونزهو ، لولا افكارهم هذه التى أعطتنا الفرصة ؟ وأمدتنا بشعور التغيير المستمر ، والصيرورة الدائمة ؟ ولكن لنتساءل بعد هذا كله ٠ هل وقف الشعر عند حدود الربع الاول من القرن يجتر الذكرى ٠٠ ويعيش على ثورة من سبقوه ؟٠ هل حقق الجيل الآخر ثورته ، ووجد نموذجه ، وطابعه ؟٠ هل كانت له فى يوم ما صفحة رائعة مثل هذه ؟٠ أعد بالحديث عن هذا فى عدد مقبل ٠

محمد الصالح الجابرى

إقرؤوا فى الأعداد القادمة

- « التوافق بين الشريعة والفلسفة » للصادق حسن الأسود
- « الفن بين الصمم والببغائية » (تابع) للحبيب إبراهم
- « النوم الفارغ » لمحمود التونسى
- « كتاب خريدة القصر وجريدة العصر » عرض وتقديم : جعفر ماجد
- « ماذا عن الفن » لمحمود التونسى
- « حقيبة يد » لرياض المرزوقى
- « بين الأطلال فى برلين » للطاهر اللبيب
- « خواطر أسود » لحسين سفطة
- « رقصة على جرح » لأحمد المختار الهادى

قبلة

شعر : عبد المجيد بنجدو

لَنَا مَعَ الحُبِّ غَدُ   وَسَاعَةٌ وَمَوْعِدُ
وَلَيْلَةٌ فِي بَيْتِنَا   سَاهِرَةٌ تُعَرْبِدُ
مِصْبَاحُهَا يَزْرَعُ فـ   ـِي البَيْتِ السَّنَى، وَمَوْقِدُ.
.. يَزْرَعُ فِي النَّفْسِ الهـَ   ـوَى أمَانِيا ، وَنَحْصُدُ
عَلَى شِفَاهِنَا غَدٌ   مِنْ حُبِّنَا سَيُولَدُ
وَقُبْلَةٌ ضَيَّعَهَا   عَلَى فَمِي التَّرَدُّدُ
حُرُوفُهَا مَسْحُورَةٌ   مَذْعُورَةٌ تُغَرِّدُ
فِي صَمْتِهَا تَحَدَّثَتْ   عَاطِفَتَانَا تُنْشِدُ
حُرُوفُهَا تَعْذُبُ. فِي   حُرُوفِهَا تَوَدُّدُ
رِيشَتُهَا نَارٌ وَكَـ   ـوْنٌ غَامَ فِيهِ المَشْهَدُ
تَمَرَّدَتْ فِي شَفَتِي   فَهَزَّنِي التَّمَرُّدُ
بِهَا عَرَفْتُ ثَوْرَةً   مُلْهَمَةً تَوَقَّدُ
إنْ ذَبُلَتْ أنْعَشَهَا   فِي شَفَتِي التَّعَدُّدُ
كَأنَّهَا أغْنِيَةٌ   أطْرَبَهَا المُرَدَّدُ
فَشَفَتِي مِنْ فَرْطِ مَا   ألْقَى بِهَا تُعَرْبِدُ
وَإنْ أُعِيدَتْ فَالَّذِي   يَقْتُلُهَا التَّجَدُّدُ
تِلْكَ شِفَاهٌ قَدَّسَتْ   قَلْبِي ، فَقَلْبِي مَعْبَدُ
يَا قُبْلَةً عَدَّدَهَا   فِي وَصْفِهَا المُوَحِّدُ
وَوَحَّدَ الوَصْفَ بِهَا   مُكَابِرٌ مُعَدِّدُ
قَرَأتُهَا بِإصْبِعٍ   ضَائِعَةٍ تَرْتَعِدُ
قَرَأتُهَا فَارْتَجَفَتْ   وَاضْطَرَبَتْ مِنِّي اليَدُ
كَأنَّنِي أعْمَى . بِهَا   فِي دَرْبِهِ يَسْتَنْجِدُ
طَرِيقُهُ طَوِيلَةٌ   تَنْأى بِهِ وَتَبْعُدُ

فَالكَوْنُ مِنْ ضَيَاعِهِ   فيه ، فَرَاغٌ أسْوَدُ
كَأنَّمَا الدَّهْرُ جَحِيمٌ   وَظَلامٌ سَرْمَدُ
وَالكَائِنَاتُ كُلُّهَا   فِي ذِهْنِهِ تَتَّحِدُ
وَالعُمْرُ شَيْءٌ وَاحِدٌ   ، فِي وَهْمِهِ ، مُقَيَّدُ
يَا قُبْلَةَ سَألْتُهَا   عَمَّنْ قَدِيمًا سَعِدُوا
وَهْيَ التِي بِغَدِكَ الأفْـ   ـضَلِ ، يَوْمًا ، تَعِدُ
وَهْيَ التِي قَلْبُ الفَتَى   إنْ آسَرَتْهُ يَسْعَدُ
فَلَمْ تُجِبْ آسِرَتِي   وَلاَ تَعِي مَا أنْشُدُ
وَهَلْ أجَابَ البَدْرُ، يَوْ   مًا، سَائِلا ، أوْ فَرْقَدُ
لَكِنَّنِي فِي صَمْتِهَا   أشْقَى بِهِ وَأسْعَدُ
كَأنَّهَا بَلْقِيسُ فِي   عَرْشٍ بَعِيدٍ تَقْعُدُ
وَقُبْلَتِي ، تَنْقُلُهَا   فِي طَرْفِ عَيْنٍ ، هُدْهُدُ
عَوَّضْتُهَا عَرْشَ الهَوَى   مِنْ عَرْشِهَا، لَوْ تَشْهَدُ
فَاهْتَزَّ مِنْ حُبِّي إيَّا   هَا عَرْشُهَا المُمَجَّدُ
وَالحُبُّ عَرْشٌ لَمْ يَزَلْ   بِهِ المُنَى وَالسُّؤْدَدُ
إذْ نَحْنُ فِيهِ مُقْلَةٌ   سَاهِرَةٌ تُسَهَّدُ
وَالنَّفْسُ مِنِّي كَلِفَتْ   وَالقَدُّ مِنْهَا أمْلَدُ
وَاللَّيْلُ مِنْ أوْهَامِهَا   فِي مُقْلَتِي لاَ يَرْقُدُ
كَغَيْمَةٍ فِي العَيْنِ أوْ   كَحُلُمٍ يُهَدْهِدُ
إذْ نَحْنُ فِي عَرْشِ الهَوَى   سَيِّدَةٌ وَسَيِّدُ
مُذْ كَانَ دِينِي قُبْلَةً   أنْهَكَنِي التَّعَبُّدُ
مُذْ كَانَ دِينِي امْرَأةً   أسْهَرَنِي التَّهَجُّدُ
وَمَنْ أحَبَّ امْرَأةً   فِي دِينِهِ لاَ يُلْحِدُ

عبد المجيد بنجدو

الفن بين الصدم والببغائية (1)

بقلم : الحبيب إبراهم

(3)

فى اتصالية الفن

زعموا أن الفن ـ أساسا ـ أداة اتصال (2) ·

1 ـ فأنت لا تعطى إلا بعد أن تأخذ · إنك لا تقول شعرا إلا بعد أن تقرأ أو تسمع الشعر · لا ترسم إلا بعد أن ترى المزيد من الرسوم · لا تغنى ولا تؤلف قطعا موسيقية إلا بعد سماعك الغناء ودرسك الموسيقى ·

فلولا هذا الشعر السابق ولولا هذه الرسوم ولولا هذه الموسيقى ما أمكن لك أن تخلق فنا ·

لقد اتصلت بفنون فأصبحت فنانا ·

وقالوا ـ باللسان الاقتصادى المحبب إليهم إن الانتاج الذى استهلكته هو الذى مكنك من أن تصبح منتجا · عليك إذن أن تنفق مما أخذت · بذلك يكون الفن رابطا من خلالك بين من جاء قبلك ومن يأتى بعدك ·

2 ـ ثم إن الفن ذو موضوع ·

هذا الموضوع سواء كان زهرة وصفتها أو قطارا رسمته أو شيخا نحت على شكله موضوع خارجى عنك · حتى المشاعر التى تثيرها فيك هذه الاشياء مشاعر نفخت فيك من خارج (3) · كل هذه المواضيع محسوسة أو مجردة ليست فيك وليست منك · هى من الناس أو من دنيا الناس · فلولا هذه المواضيع أى لولا هؤلاء الناس ولولا دنياهم ما كان لفنك أن يكون ·

---

(1) راجع الفكر العدد 2 و 3 ـ السنة 12 ـ 1966 ·

(2) واتهموا غيرهم بأنهم « دعاة الانفصال » ·
عمار الزغلامى : حول خواطر فى أدب العصر ·
جريدة «الصباح» ـ تونس ـ 9 أفريل 1964 ·

(3) وقد نشبت الخصومة بين دومناك مدير مجلة « اسبرى » الفرنسية وكانابا رئيس تحرير مجلة «La Nouvelle Critique» الفرنسية أيضا حول السؤال التالى : الثقافة والثورة أيهما تسبق الاخرى زمنيا ؟
فقال الاول : الثقافة (J.M.Domenach Revue Esprit-Paris - Janvier 1957

فأنت اتصلت بفنك شكلا ومضمونا ٠

أما الشكل فقد تلقيته من فنانين سابقين ٠ وأما المضمون فقد تلقيته من المجتمع الحى ٠

عليك إذن أن تعطى المجتمع ما أخذت منه ٠ أن تعيد للحياة الاجتماعية ما تلقيت ٠ أن توصل ما اتصلت به ٠ أن تنفع كما انتفعت ٠ وإلا فأنت أنـانى جشع ومستغل مصاص دماء ٠ يحق للمجتمع أن يحطمك لامتنـاعك عن اداء الـدين (4) ٠

وهذا ما دعاه لينين بخدمة الملايين وما دعاه غوركى بـ «إبراز حقيقة الحياة»٠ التزام التطور الفنى والتزام الموضوع الحى يؤديان حسب مفهوم الاتصال إلى التزام الحياة والتزام المجتمع شكلا ومضمونا ٠

أما إذا كان طابع النشاط الاجتماعى اشتراكيا فيكون التزام المجتمع التزام الاشتراكية ٠

وهو ما دعاه ستالين ثم غوركى « بالواقعية الاشتراكية » ٠

* * *

القضية ــ إذن ــ لدى القـائلين بالاتصـال ليست إلا قضيـة معـاملات ومبادلات ٠ فالفنان لم يصبح فنانا إلا وقد اثقلت كاهله الديون : دين الفنون التى بها تغذى ودين الموضوع الذى فيه أو عنه تفنن (5) ٠

وقال الثانى : الثورة (Jean Kanapa : Situation de l'intellectuel P. 126 Editions Sociales Paris 1957

وحسب كل منهما أنه أصاب كبد الحقيقة ٠ والحقيقة الأولى هى أن خصومة كهذه نشبت من قبل فحواها : البيضة والدجاجة أيهما تسبـق الأخرى زمنيا ؟ ! والحقيقة الثانية هى أن كليهما مخطىء ٠ فالثقافة الحقيقية ثورة المستقبل ٠ والثورة الحقيقية ثقافة المستقبل ٠

(4) Jean Kanapa :Situation de l'intellectuel P.205 Editions Sociales-Paris1957

(5) أقر لينين بعظمة تولستوى بوصفه « مفكرا ومتنبئا » ٠ لكنه جعـل منه مترجما عن عظمة الثورة الروسية ٠ ولست أفهـم كيف يمكـن أن يكون « متنبئا » و « مترجما » فى آن واحـد ولشىء واحـد ، المتنبىء يسبق الحدث ٠ والمترجم يلحق الحدث ٠ إن كان تولستوى متنبئا فقد ترجمت الثورة تنبؤاته ٠ هنا ــ على الأقل ــ الفن يسبق الثورة ! ! ومن أدراك أنه لم يفعل فيها فعله ؟ !
Boris Meïlakh : Lenine et les problèmes de la litterature Russe P. 328 Editions Sociales - Paris - 1956

1 ـ ديـــن الفنـــون :

لو رزت معرضا للرسوم وتأملت فى مواقف الناس منها لأدركت أن إدانـة الفنان بفنون سابقيه تهمة باطلة فى معظمها ٠

لاحظ أن ردود الفعل لدى المتفرجين ليست واحدة ٠ أمام اللوحة الواحدة هنالك من يبتسم وهنالك من يعبس وهنالك من يبرطم وهنالك من لا يبـدو عليه تأثر ٠ أمام الوجه الواحد هنالك من يهتف : « آه ما أجمله ! » وهنالك من يصرخ : « أف ٠ ما أبشعه ! » وهنالك من يهز كتفيه ٠ مع الملاحظة بأن هذا لا يكون طبعا إلا أمام اللوحات الفنية الفنية ٠

هاك مثالا : السؤال ما يزال مطروحا : ما هو شعور La Joconde الحقيقى ؟ إذ هنالك من يرى لها وجها ينضح سعادة ٠ وهنالك من يرى عليه ظلال الكآبة ٠

ألا يدل كل هذا على أن الناس لا يتصلون بمقاصد الفنان ؟ ثم ألا يدل على أن الفنان ـ ككل الناس ـ لا يتصل بأهداف الفنان ؟

* * *

والشعر ذلك الفن المزدوج الذى تعانق فيه فن المعانى بفن الموسيقى كـم اختلف الناس فى شرحه وتأويله !

ما يزال ـ وسيبقى ـ لأبى العتاهية والمتنبى والمعرى والشـابى أنصار وخصـوم ٠

* * *

والمـوسيقى ؟

◆ ضع خمس اسطوانات لمقطوعات موسيقية متنوعة المصادر والألحان أمام خمسة أشخاص ٠ واطلب منهم أن يرتبوها حسب التفضيل ٠ لن تجد اثنين متماثلين فى الاختيار ٠

◆ وأعرف صديقا تنهال دموعه كلما سمع أغنية : « يا جارة الوادى » ٠

◆ وأعرف فتاة تسمع أغنية : « لا تكذبى ٠ إنى رأيتكمـا معـا » فتصيح عابثة : « كذاب ! لقد مت قبل أن يولد » ٠

* * *

الآذان والعيون ـ بقطع النظر عن الصم العمى ـ متشابهة لدى الجميـع ٠ كلها تسمع الانتاج الفنى أو تراه على غرار واحد ٠ كلها تتصل بالأثر الفنى ٠ فما الذى يحبسه عن الوصول إلى الوجدان ؟ ما الذى يعوق بلوغ المقاصد ؟ ما

الذى يغربلها ؟ ما الذى يجعل أنك ترى جميلا ما يراه غيرك قبيحا ؟ ما الذى يجعل أنك تندهش أمام اللوحة ويندهش غيرك لاندهاشك أو يضحك عليك ؟

أين اتصالك بأهداف الفنان وأين اتصال الفنان بالآثار الفنية السابقة ؟

نعم • كل الناس يزعمون أنهم فهموا وتذوقوا • فأيهم نصدق وأيهم نكذب ؟

كلهم صادقون فى تذوقهم وكلهم كاذبون إن ادعوا الاتصال الأكيد ، إذ لا أحد يتصل بالاهداف • لسبب بسيط وهو أن الفنان لا يقصد إلا هدفا واحدا : الفن ، أى شرارة اللقاء •

قيل إن إماما كان يقرأ آيات من سورة طه • فدخل أحد المصلين اللصوص ويده ما تزال محشورة فى جيبه حيث أخفى كيسٌ نقود اختلسه منذ حين • وما أن استوى اللص فى وقفته حتى انطلقت عقيرة الامام بالآية الكريمة : « فأوجس خيفة موسى • قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى • وألق ما فى يمينك » وصادف أن كان اسم اللص موسى • فرمى بكيس النقود ثائرا صائحا : « خذه • مشؤوم عليك » وخرج هاربا تاركا حذاءه •

وما أظن أن الامام كان يقصد اللص بقراءته لتلك الآية وإن حسب اللص ذلك لارتياع ضميره •

وما أكثر اللصوص وراء الائمة الفنانين • ومن المؤسف أنهم لصوص من نوع صاحبنا يؤولون الآيات الفنية تأويلا تجاريا يطلبون منه الربح الفردى باسم التحرر أو الربح الاجتماعى باسم الالـزام أو الالتـزام أو المثـالية أو الواقعية أو ••• أو •••!

* * *

لست أدعى أن مستهلك الانتاج الفنى لا يتصل منه بشىء •

لكنى أؤكد أن اختلافنا فى تفسيره يدل على عدم اتصالنا بأغراض الفنان •

قد نفهم منه أشياء • لكنها **ليست من أغراضه** •

قد نتصل بأشياء لم يوصلها الفنان وقد نأخذ من إنتاجه ما لم يعطه صاحبه !

فمن أين وصلتنا ؟

لقد **اتصلنا بها من ذات أنفسنا** • لا أكثر ولا أقل •

لماذا اتصلنا بها فى ذلك الوقت بالذات ؟

لأنها كانت ضائعة فى النفس • مغمورة فى الدهاليز • فأعادها الأثر الفنى إلى السطح • فوجدنا البعض من أنفسنا ! (6)

إنك ترى اللوحة أو تقرأ القصيد فتذكر حادثا فينعقد اللقاء وتتصل ••• بشرارة • لا أكثر ولا أقل •

الدليــل ؟

◆ La Joconde يراها الحزين حزينة ويراها المبتهج مبتسمة •

◆ القطعة الموسيقية الراقصة يسمعها الشـاب فيهتـز ويسمعها الشيـخ فيشمئز • تقع شرارتها على وجدان الشاب فتحرك مفاصله فيرقص • وتقع على برودة الشيخ فتقول « تش » فيتقزز وإن اعترف بقيمتها التقنية (7) •

فالفنان ـ ككل الناس ـ لم يتصل من الآثار الفنية السـابقة إلا بشـرارة هزت ما فى نفسه وحركت وأضاءت وأرقصت (8) •

---

(6) الفنان ـ كما قال سيمنون Simenon ـ يكتب لنفسه • وقد يجد القارىء نفسه أو بعضها فى ما يقرأ •
مجلة « حوار » ـ عدد 23 ـ أوت 1966 ـ بيروت ـ ص 82 •

(7) ◆ سمعت ـ فى 19 أوت 1966 ـ نقـلا إذاعيـا عن إحدى جلسات ملتقى « هواة الأدب » وسمعت فيه مشادة بين فرج الشاذلى وإحدى الهاويات • فكانت المشادة مثالا رائعا لاختلاف التأويلات •
قال الأول : عن « هدفية » الانتاج المسرحى لدى توفيق الحكيم إنه إثبات للبعث والخلود •
وقالت الهاوية فى إصرار : كلا • لا إنسـان ـ لـدى الحكيـم ـ خـارج الزمان والمكان •
وسخر الفن منهما ! !
ذلك أنهما رأيا فيه ما بنفسيهما ثم نسباه إليه فى جد واعتداد وتحذلق •
◆ وسمع شوبنهور أحد النقاد يطعن فى كتابه « العالم كارادة وفكرة » فقال له : « إن هذه الكتب مثلها مثل المرآة إذا نظر فيها حمار فلا يتوقع أن يرى وجه ملاك ! ! »

(8) نقول لكانابا الذى طلب من الفنان أن يكبت مشاعره الفـردية ويخنـق وجدانه كيلا يصل منه شىء فردى أو ذاتـى إلى المستهلك خشيـة أن : يتسمم : « اطمئن ! لن يصل من إنتاج الفنان إلى المستهلك إلا ما كان فى نفس المستهلك من قبل ! لن يتصل هـذا الأخيـر إلا بمـا يثيـر فيه ما هو فيه ! »
Jean Kanapa : Situation de l'intellectuel p. 225-226 Editions Sociales - Paris - 1957

2 ـ ديـن الموضـوع :

ما قلناه عن دين الاستهلاك صالح للرد على الزعم القائل بأن الموضوع يمثل دينا على كاهل الفنان •

فكما أن المستهلك لا يرى من اللوحة إلا ما انعكس من نفسه عليها فالفنان لا يرى من لوحة الحياة ولوحة الوجود إلا ما انعكس من وجدانه عليهما (9) •

منا من يرى الحياة فى شكل زهرة ومنا من يراها فى شكل صحراء ومنا من يراها فى شكل دينار •

منا من يرى الوجود صداقة • ومنا من يراه صراعا • ومنا من يراه جنونا •

منا من يرى العدالة فى أعلى سلم المثل • ومنا من يفضل عليها القوة ومنا من يفضل عليهما المحبة (10) •

لهذه المواقف تأثير أساسى على الانتاج الفنى بل هى صلب كل انتاج فنى •

هذا لا يعنى أننا نقدس المشاعر والافكار على حساب الشكل لكن يجب أن نعيد لكل شيء قدره •

يقينى أن الخصومة الدائرة حول التفضيل بين الشكل والمحتـوى خصومـة خرقــاء •

* * *

كنت اسهبت فى الحديث عن هذه الخصومة فى مستوى اللغة فحاولت الاقناع بأن اللغة والفكر شيء واحد يجر الفصل بينهما خنق الفكر وتجويف الكلمة • وجعلت منشأ الخلاف القائم بين دعاة الاتصال ودعـاة التعبيـر هذا الفصـل بالـذات •

وما أحسب إلا أن السبب هو هو •

فقد اتفق الخصمان على حفر الهوة بين الوجدان والانتاج الفنى ثم افترقـا على الضفتين •

فمال القائل بالتعبير إلى تقديس الشكل على حساب المضمون (11) •

(9) « بالفن يتناول الانسان الطبيعة من ناحية مجازها لا من ناحية واقعها » •
كمال يوسف الحاج : فلسفيات ج 1 ـ ص 239 •
دار ريحانى للطباعة والنشر ـ بيروت ـ 1956 •

(10) القيم ـ كما قال ڤوبرى « شبيهـة بالانغـام المـوسيقية ، كل شخصية سمفونية » •
Ivan Gobry ; La Personne p. 97. Presses Universitaires de France Collection "Initiation philosophique" - Paris. 1961.

(11) A. Malraux : La lutte avec l'ange — Le Musée imaginaire

ومال القائل بالاتصال إلى تقديس المضمون على حساب الشكل (12) ٠

والحقيقة هي أن الشكل وجدان في شكل محسوس ٠ وأن التحرش بأحدهما تحرش بالآخر ٠ أن التنازل عن احدهما تنازل عن الآخر (13) ٠

فما هو الجمال إن لم يتقمص شكلا من الاشكال ؟

ما هو البؤس إن لم يتجل على هيكل من الهياكل ؟

قضية « الشعر والعمود » قضية مفتعلة من الجانبين تهرأت فيها الاصابع وبحت لها الحناجر بدون طائل ٠ الخصومة القائمة حول عدد أصابع القفاز خصومة دون كيشوتية ٠ أليس عدد أصابع القفاز مطابقا لعدد أصابع اليد ؟ ألا يمكن إذن أن تجد قفازا ذا ستة أصابع أو أربعة ؟ ما لك تحكم حكم ذي الأصابع الخمسة ؟ وما لك تريد فرضه على الآخرين ؟

- والخصومات حول الأغنية بين الخفة والرصانة ، أليست تتجاهل عامل السن والطبع ؟
- والسباب الذي يكيله الشيوخ للرقصات الحديثة ؟
- وادعاء بعضهم أن القصة البسيكولوجية ليست قصة ؟
- وثورة بعضهم على إقحام السياسة في الأدب ؟
- وضيق الآخرين بطغيان العواطف على الشعر ؟ الخ ٠٠٠

يقيني أن كل هذه « الخناقات » خصام من أجل الخصام ولغو لا طائل تحته ٠ فهي خلافات لم تتسبب عنها طبيعة الاشياء ٠ بل هم المتسببون فيها ٠ ذلك أنهم انتقلوا من التمييز بين الشكل والمحتوى ـ قصد الفهم ـ إلى الامتياز قصد المفاضلة بين الشكل والمحتوى ٠ ثم جاء التزييف وختمه سوء النية !

* * *

(12) ◆ Jean Kanapa : Situation de l'intellectuel p. 304. Editions Sociales Paris 1957

◆ Jean Perus : Introduction à la littérature soviétique p. 78.Editions Sociales. Paris 1959.

◆ مصطفى السحرتي ـ تعليق مجلة « حوار » على كتابه « شعر اليوم » ـ عدد 20 ـ فيفري 1966 ـ بيروت ـ ص 89 ٠

(13) « لا فارق بين المعنى والمبنى » : كمال يوسف الحاج : فلسفيات ج 1 ـ ص 243 ٠
دار ريحاني للطباعة والنشر ـ بيروت ـ 1956 ٠
« الشكل والتفكير لا يمكن التفريق بينهما » : جبران خليل جبران ٠ مجلة « حوار » عدد 23 ـ أوت 1966 ـ بيروت ـ ص 16 ٠

كلا • ليس على الفنان دين شكل أو دين موضوع •

كل من الشكل والموضوع ـ وهما شيء واحد ـ كامن فى نفس الفنان • هو فنان منذ البدء • هو قابل لأن يكون فنانا • هو فنان بالقوة •

هذا لا يعنى أنه لم يتصل من المجتمع بشيء •

بلى • لقد اتصل • اتصل بالشرارة التى فجرت النبـع • التى جعلت من قبوله إقبالا وجعلت من القوة فعلا •

تلك الشرارة تمثل دينا • تلك الشرارة المقدسة يجب إيصالها ليبقى الفن فيبقى الانسان (14) •

أما المجتمع ببلاده وعباده فقد غربله الفنان ونخله فاحتفظ منه بما شاءت نفسه شأن ما يفعل الناس بالانتاج الفنى تماما •

قيل إن الفنان مرآة مجتمعه •

كلا • إن فنانا كهذا فنان مرآة أى فنان قشرة أى بصلة •

هو ليس آلة صماء تصور الواقع تصويرا فوتوغرافيا • قد يـرى بصـره الشيء الذى تراه • لكن لا يفسره تفسيرا مطابقا لتفسيرك تمام المطـابقة • ولا يتأثر به وجدانه تأثرا مماثلا لتأثرك • وهو ـ بالتالى ـ لا يعبـر عنه كما تعبر (15) إن كان اختلاف الابصار اختلافا فى الكم فاختلاف البصائر اختلاف نوعى أو كيفى •

بين النظر إلى الشيء والافصاح عنه تجرى عملية باطنية ميدانها الوجدان وفيه تحدث للشيء تغييـرات وتغييـرات • ينبغى أن لا ننسى تلك العملية الداخلية فننسى اللب ونعتبر الانسان بصلة •

أمام المشهد الواحد وأمام الحدث الاجتماعى الواحد تختلف المشاعر باختلاف البصمات • ما يرضى العقل قد لا يرضى الذوق وما يرضى الذوق قد لا يرضى العقل • كنا نود أن تكون الأمور عقلانية المجرى • لكن الأمور جـارية حسب سنن أخرى فيها عقل وفيها ما لا يطيق العقل أى الربط •

---

(14) قال جبران عن النحات رودان Rodin : « إن وعيه للحياة وعى فائق • وهو يجعل الآخرين أكثر وعيا للحياة • يجعلهم يشعرون بها أكثر مما كانوا يشعرون بها من قبل » فهل هنا حديث عن توجيه للوعى أو تربية للشعـور ؟
مجلة « حوار » عدد 23 ـ أوت 1966 ـ بيروت ـ ص 27 •

(15) كمال يوسف الحاج : فلسفيات ج 1 ـ ص 239 •
دار ريحانى للطباعة والنشر ـ بيروت ـ 1956 •

لولا هذا التمرد على العقل الجاف لما كنا نجد فرقا بين زبير التركى وحاتم المكى ، بين محمد عبد الوهاب وشكوكو ، بين كوكتو وكامو •

ولولا هذا التمرد على الاحكام البديهية ـ الاتوماتيكية ـ لكانت الفنون تركد بركود المجتمع وتزدهر بازدهاره المادى (16) •

ولنحمد الله على أن الأمور ليست كذلك • إذ لو كانت الفنون موازية لما فى المجتمع لكان الفن دفترا مزخرفا يسجل الاحداث بشكل متحـذلق • فتمكـن الاستعاضة عنه بدفتر أيسر ضبطا وأدق تأليفا وأقل تكاليف •

بينما الفن الفن لا يعوض •

* * *

نعم • الفنان يتأثر بمشاهد المجتمع مثلما يتأثر مستهلك الفن بالأثر الفنى • فهو ـ كما ذكرت ـ يتأثر منها بما يصور ذات نفسه •

هذا لا يعنى أن الفنان مرآة نفسه • كلا • هو ليس مرآة لشىء مهما كان • بل هو مرآة من نوع خاص • هى **مرآة لا تعكس كل ما يمر أمامها** •

الفنان يعكس البعض مما فى المجتمع • لا كل ما فى المجتمع • ولا ما يريد المجتمع • ولا ما يريد الفنان نفسه • بل ما يهز نفسه •

وما يهز وجدان الفنان قد لا يهز كل النفوس • وقد لا يهز إلا وجدانه (17) • وإن لم ترقك هذه الحقائق فحاول أن تجعل البصمات متشابهة !

* * *

وقد بلغ إنكار الذاتية Subjectivité بالقوم الداعين إلى الموضوعية منحدرا لا محيد عنه •

فعوض أن يقال لك : ساهم فى النهضة الفنية •
يقال لك : ساهم فى النهضة الاشتراكية •
وعوض أن يقال لك : ساهم فى رقى الفن •
يقال لك : ساهم فى رقى المجتمع (18) •

---

(16) جبرا ابراهيم جبرا : الادب العربى المعاصر ص 219 • منشورات مجلة « أضواء » الباريسية ـ 1962 •

(17) Paul Foulquié: L'existentialisme p.70 n° 253 Collection "Que sais-je?" Presses Universitaires de France. Paris 1958.

(18) المساهمة فى رقى الفن هو نفسه مساهمة فى رقى المجتمع • فالفن ـ من هذه الناحية ـ هدف • وهو بالذات ما أفعله أو أعتقـد أنى أفعله الآن بدون أن أنتسب إلى تحرر أو التزام •

ولو سألتهم عما يفهمونه من رقى المجتمع لأجابوك بكلمات سمعوها ولم يعوها أى بشعارات تجوفت وتجففت ٠

* * *

رقى المجتمع حصيلة ٠ هو فى ختام عملية قد تطول وقد تقصر حسب المرتقى المنشود ٠

رقى المجتمع ذو واجهات ٠ شأن المجتمع كشأن المنضدة لا يمكن رفعها برفع قائمة وإبقاء القوائم الاربع الاخرى ٠ لا بد من رفع كل قوائم المجتمع ليرتفع المجتمع وإلا انقسم وتكسر ٠ وتباعدت الشقة بين عناصره ٠

وتلك إحدى نتائج الرقى المادى وحده ٠ ذلك الرقى لا أعتبره إلا انكسارا ٠ وكذلك الشأن فى الرقى الروحى وحده ٠

نعم ٠ على الفنان أن يساهم فى رقى المجتمع ٠ لكن باعتبار أن الفن إحدى قوائم المجتمع ٠

على الفنان أن يساهم فى الحرب٠ لكن باعتبار أن الحرب مجموعة من المعارك٠ وأن الفن واجهة من الواجهات ٠ لها معالمها ولها مميزاتها ولها استراتيجيتها الخاصة ٠

لا يمكن للفنان أن يدخل معركة أخرى غير معركة الفن ٠

الفنان غير قادر على أن يعطى من نوع ما أخذ ٠ غير قادر على أن ينتج من نوع ما استهلك ٠

كل الناس يستهلكون خبزا وليس كل الناس خبازين ٠

الدجاجة تستهلك قمحا وشعيرا وتنتج بيضا ٠ ولنحمد الله ٠ إذ ما نفع الدجاجة لو كانت تستهلك بيضا وتنتج بيضا ؟ فهل من العقوق أن لا تعيد الدجاجة ما استهلكت ٠

نعم ٠ لقد اتصل الفنان بالمواد الخام ٠ لكن اتصاله بها ــ فضلا عن المفهوم الحقيقى للاتصال ــ لا يعنى وجوب إيصالها إلى غيره أو حتى إمكانية ذلك ٠

ذلك أنه صنع منها نفسه ٠ فكيف يطلب منه أن يعيدها كما اتصل بها بعد أن أصبحت مادة مصنوعة ؟

يحكى أن جحا اشترى رطلا من اللحم وحمله إلى زوجته كى تطبخه ٠ فطبخته وأكلته ٠ ولما عاد جحا إلى منزله قدمت له طعاما لا لحم فيه ٠ فلما سألها عن اللحم أجابت بأن القط أكله ٠ فجاء جحا بالقط ووزنه ٠ فاذا به يزن رطلا ٠ عندئذ صاح جحا مدهوشا : « إن كان هذا قطا فأين اللحم ؟ وإن كان هذا لحما فأين القط ؟ » ٠

وقد يتساءل جحا الفنان : « إن كنت « أنا » فأين « ما تلقيت » ؟ وإن كنت « ما تلقيت » فأين « أنا » ؟

عن السؤال الاول يجيب جعفر ماجد : « أنت « أنت » • أما « ما تلقيت » فقد مر مرور السحاب الكاذب •

ويجيب علي شلفوح : « أنت « ما تلقيت » • أما « أنت » فوهم وسراب كاذب (19) •

وأجيب بدوري : « أنت « أنت » • أما « ما تلقيته » فقد هضمته !

فاذا شاء مجتمعك شيئا فليكن « شيئا منك » لا شيئا مما تلقيت • أي فليكن « شيئا منك » ممزوجا « بما تلقيت » ! (20) •

أمّا إذا شاء عصرك فاني أؤكد له أنه لن يحصل على الفن الذي يريد • ولن يحصل عليه حتى لو رضيت بأن تعصر !

عبر عن ذاتك يكن في تعبيرك شيء من المجتمع وإليه (21) •

قال ڤوبري Ivan Gobry : « ليس الفرد في المجتمع • المجتمع في

(19) راجع الخصومة المتعلقة بـ « الانسان الممتاز » •

(20) « إن تجاهل الواقع الذاتي لفردية الشاعر هو اغتيال لأحد جوانب الواقع العام المنعكس في عملية الخلق الفني » : غالي شكري : مجلة « حوار » عدد 20 فيفري 1966 — ص 83 — بيروت •

(21) هذا الزعم يبدو غريبا • فقد جرت العادة — وإن من طرائق التفكير ما ينسب إلى العادات — أن يوضع الفرد في وضع مقابل للمجتمع باعتبارهما قوتين ضدين • والحقيقة هي أنهما قوتان تسكن إحداهما الأخرى • ولا عجب أن « يضيق » أحدهما بالآخر • ثم اني لم أجد ما يبرر هذا التضاد إن كان الفرد إنسانيا وكان المجتمع إنسانيا • فالانسانية تحوش القوتين • تلك العدسة الحدباء تجلب إليها — في نقطة صاهرة — أشعة الفرد والجماعة • ولا يكون اللقاء إلا بوجود العدسة الانسانية في قلب الفرد وقلب المجتمع • ولا يفسد اللقاء إلا تدخل المشوشات كالحيوانية — أو الحسية القاصرة — والجمود •

لم أجد في وجدان ابن آدم إلا نوعين من الوجد :

أ — **المثـل** : وفيها يلتقي الفرد الانساني والمجتمع الانساني • ولا مجال — إذن — للحديث فيها عن اتصال أو تعبير أو صراع بما أنها في قلب الفرد الانساني والمجتمع الانساني •

ب — **الاهـواء** : أو الميول الحسية لدى الفرد الحيواني والمجتمع الحيواني • وهنا يسود التنازع العلاقات وتنطلق الغرائز ويطبق قانون الغاب • ولا

الفرد » (22) وهذا يعنى أن **الافراج عن الذات إفراج عن المجتمع الكـامن فى حناياهـا .**

الحبيب إبـراهم

– يتبـع –

مجال – هنا أيضا – للحديث عن الفـن فضـلا عن اتصـال أو تعبيـر أو التزام وتحرر .

الفن – كما رأينا – ميزة إنسانية . والميول الحسية ميول حيوانية . والتعبير عن الميول الحسية التى لا تتسامى ينبغى أن لا يحسب على حساب الفن أو على حساب التعبير أو التحرر .

قال كمال يوسف الحاج : « إن الفن الذى يرمى إلى مـداعبة الحـواس جسميا هو فن هزيل . هو أحط مـراتب الجمـال » (فلسفيات ج I – ص 244 – دار ريحانى للطباعة والنشر – بيروت 1956) .

فاذا استدل زدانوف والزغلامى وشلفوح وعبد البارى وغيرهم على فساد الأدب التعبيرى أو الأدب المتحرر بما لاحظوه من إفراط فى الجنس والاستمناء فقد أخطأوا المرمى. وأدانوا الفن باثم غيره. وهذا ظلم صارخ للفن من جهة . وإهمال للمسؤول الحقيقى الرائع الطليق : فساد الخلق – من جهة أخرى .

إنى أرى – بالعكس – شبهـا كبيرا بين التصوير الحسى والتصوير الواقعى . فكلاهما تصوير للواقع واقتصار عليه . الـواقعية تستجيب للحواس العليا من الجسد – والآخر يستجيب للحواس السفلى ! ! وكلاهما فى حاجة إلى المثل الانسانية التى تجمعها الاخلاق ويعاضدها الايمـان . إن شئت دليلا فانظر فى قصيد النهد وقل لى : أليس تصويرا واقعيا ؟ !

(22) Ivan Gobry : La Personne p. 99. Presses Universitaires de France. Collection "Initiation "philosophique". Paris 1961.

حنين

حبيبي تعال ...
فبعدك طال
وصبري ادعاء،
وصمتي افتعال ...

حبيبي
ألفتك والحب ألفه
فاني أراك
أحس برجفه ...
كمد من خمر
يحن لرشفه ...
فاسعى اليك بكل حنيني
واظهر اني لقيتك صدفه ...
واذ ألتقي بك،
انسى المحال

ويهتز قلبي
بالف ابتهال
حبيبي ... تعال ...

زبيدة بشير

لوحة من أدب الوجدان
بريشة : محمد مصمولي

الراحلة بلا ميعاد

(.. هذه رسالة مرفوعة الى كل أم تسافر الى السماء بلا وداع ... وبلا عودة ...)

م. م.

◆◆ ذا وجهك الحائر ، يا أمي ، من نافذة الموت ، في انحناءة حنان ، يُطل علينا ، ويحاول أن يبتسم ...

◆◆ وجثتي المشدودة بهيكل الأيام وخفقة الضوء تنادى أن : « خذ الحياة ولا تضع قدمك بين تراب الصحو ، وهاوية الغيبوبة الأبدية ...

◆◆ وأنا في أمواج الصخب المر ، إلى العنق ، وصوتي ضاع منى ، ولا نجدة ...

◆◆ وبناتك ، ذوات الحزن الممطر ، قد نام المساء في عيونهن ، ففقدت الدقائق طفولتها ، وامتصت الأشياء ظلالها ...

◆◆ وعلى زجاج نافذتي ، لهاث النهار الراكض بألف ساق مثل أحمق يسابق النور بين الصفر واللانهاية ...

◆◆ أما الليل ، يا أماه ، فخنجر جاحم قد تسمر في أعماق فرحتي البكر ...

◆◆ لأنك ، أيتها الراحلة بلا عودة ، رحلت بلا وداع ...

* * *

II

◆◆ ذا مكانك ، يا أماه ، هذه الأمتار المشمسة من المدار المفرغ ، وقد عشش فيها صمت جارح يثرثر فيه العدم ...

◆◆ وملامح وجهك الشفاف قد تماوجت يا أماه ، فأصبح البيت يبتسم بشفاهك ، ويبكى بأجفانك ...

◆◆ وكل ذرة من الكون تبكيك ، وتفنى فى ذكراك ، لأنك عندما سافرت خلفت عمقك فى كل خطوة ...

◆◆ وأنا يا أماه ، فى متاهة الحياة ، ألتهم شبابى وأقتات من صبرى ...

◆◆ والجدار الأخرس ، يتثاءب بأشداق من ثلج ، أمام أجنحة روح لم تخلق إلا للمدى الأزرق ...

◆◆ والسماء المحتضرة فوقى ، تكاد أن تنهار على أنفى ...

◆◆ وعبر صخور المحال ، جرحى يا أمى ، يبكيك بالدموع لأنك ، أيتها الغائبة بلا وداع ، غبت بلا عودة ...

* * *

III

◆◆ ذا قبرك يا أماه ، يحتضنه الربيع فتلتف حوله حالمات الزهور ...

◆◆ وبالأمس ، قد حملتك عربة الموت ، إلى شاطىء الظلام ، تاركة يا أماه ، محبيك فى زنزانة الحياة ...

◆◆ وذا ثغرك اليوم ، ينير عزلتى ، وأنا أدأب فى القفر ، تلفحنى سحرية السراب ، والضفادع والغربان ...

◆◆ ولئن اختلفت سبيلى وسبيلك ، يا أماه فانت فى غيابك حاضرة ، وموعدنا لدى التقاء البداية بالنهاية ...

◆◆ لأنك أيتها الراحلة بلا عودة ، رحلت بلا وداع ...

محمد مصمولى

قلبه لا يدق ؟!

قصة بقلم : محمود بلعيد

« كلهـا حقيقـة »
شكسبيـر

سعد سعد اذهب الى السوق فى العاشرة احمل معك قفتين كبيرتين وترقبنى قدام الباب الكبير أى باب الحوت أفهمت لا تبتعد عنه أعيد مرة أخرى باب الحوت لا تبتعد عنه اعرف انك حمار لا تفهـم ما اقول لك • سعـد أين قطتى ابحث ابحث عنها أظن انها تحت الخزانة لا لا أظن انها تحت السرير او انها خرجت نعم نعم انها خرجت خرجت • سعد أغسلت السيارة بماذا بالماء والصابون يا جحش قلت لك لا تغسلها بالصابون قلت لك بالماء فقط انت بليد لا تفهم وداخل السيارة ماذا فعلت داخل السيارة قل لى ماذا فعلت • سعد لماذا تركت ضوء الداموس يشتعل لست أنت من اذن الشيطان دخل الداموس واشعله • لا تدرى • قل يدك هى التى اشعلت وانت راقد لا تدرى يا زفت كل شهر انا الذى ادفع ثمن الضوء كل شهر كل شهر اتعرف هذا ام لا • سعد الحوت نتن من أين اشتريته قل من اين لا تشم انت ليس لك انف يا اسود أنظر الى انفك هو كبير أفطس يملأ وجهك ولا تستطيع أن تشم به هذا هو الـداء بعينـه • سعد اذهب الى خالتى زبيدة ونظف لها السدة لقد طلبتـك منى البـارحـة لتعينها • سعد أأخذت صفارتى • سعد القطة توسخ تحت الفـراش اطردها اطردها بسرعة • انشر القديد • انطق انطق نسانك مقطوع لماذا لـم تنظف السلم البارحة هو وسخ عفن كوجهك الاسود • لماذا ضربت الكلب لماذا خذ خذ خذ نصيبك يا ملعون • عضك • لماذا عضك • يوجد سبب يوجد سبب خذ خذ خذ نصيبك يا ملعون • لا تقول صباح الخير لجارنا الحاج على • انه مقلق تتجرأ وتقول انه مقلق بل انت هو المقلق الحاج على سيدك • قال لك اشترلى حكة وقيد • لما لا لم لا اقول لك الحاج سيدك ويجب • لا تريد ان تخدمه ألك ارادة انت لا لا ابدا ابدا خذ خذ خذ نصيبك يا ملعون • سعد اقسم بالله لو وجدتك فوق شجرة اللوز تاكل لو وجدتك وفى فمك لوزة ولو وجدتها على الارض اخرجها واخرج روحك معها • اسمع لا تفارق الدار حتى نعود لا تنم افتح لنا عند رجوعنا ولا تجعلنا ندق الباب كامل الليل حتى نزعج الجيران • سعد اين كرتى ابحث عنها اظن انى القيتها فى الحديقة • اذهب مع سيدتك الى سوق البركة احرسها أفهمت • اذهب الى عم صالح لا تشرب اللبن فى الثنية اتسمع انه يظهر على شفتيك يا جحش • سعد من ضرب لطفى • أنت ما هذه الشجاعة هذا غريب منك تجيب هذه المرة بصراحة عجيبة ولماذا ضربته

اذن • انه قال لك يا وصيف ويا افحج ويا ماذا ويا ارثم ويا المظ انى لا افهم ماذا تقول لكن باختصار ضربت الولد لكن لماذا ضربته لانه قال لك كل هذا الكلام هكذا لله فى سبيل الله تمر فى الحى فتلتقى بلطفى فيجعل يقول لك يا وصيف ويا افحج ويا لست ادرى هكذا • لا لا ابدا يوجد سبب كالعادة يوجد سبب يوجد سبب خذ خذ نصيبك يا ملعـــون بدات انت بالشتم كعادتك يا خبيث بدات انت • سعد اطبخ لى براد طرنجية • خذ القفة واذهب الى عم الحطاب لقد اشتريت من عنده بطيخة وتركتها فى حانوته خذها واحذر فى الشارع لو كسـرتها اكسـر لك رأسـك • اذهب اللحم قـديم وكلـه عظام ارجعه حالا حالا افهمت بسرعة بسرعة • سعد سعد العب معى سعد هيا نلعب فى الحديقة سعد هيا نلعب قدام اندار • أمى لا تريد • ابى لا يريد • بل انت الذى لا تريد ان تنظف الجابية لا لا انعب معى • سأقول لابى انك لا تريد ان تلعب معى وساقول له انك ضربتنى وانك ضربتنى حتى بكيت • ساقول له انك دخلت ••• أأكلت برتقالة يا سعد البرتقال ناقص أأخذت برتقالة من الخزانة قل نعم او لا انى حسبتها أتعرف هات هات يديك لاشم افتح فمك لاشم تقول فتحى هو الذى اخذ البرتقالة تكذب والله تكذب سياتى سيدك الليلة ويقتلك ضربا • سعد لماذا لم تسق الورد • لا تكذب وتقـول سقيت بالاخص الورد المزروع بالقرب من بيت الصابون تجرأ وتقول سقيت وتحلف سعد الجرس يدق • قلت لك • سعد نظف البيت الغربى • احرس العولة فوق السطح • ادخل الملابس من المطر • سعد اين طنبورى بحثت عنه فلم اجده اظن انه فوق الخزانة لا لا اظن انى رميته فـوق السطـــح ونسيت • نظف الصينية يا سعد • الباب يدق يا سعد • هات السكين• سعد نظف حوض القرنفل • سعد احب عصفورا انظر هذا هذا الذى يمـر فوق الشجـرة لا لا هذا الواقف على عمود الضوء لا لا هذا هذا المار فوق البيت لا لا هذا المتعلق بالنافذة لا لا هذا وهذا وهذا لا تستطيع ان تضربهم بالحجر لا تستطيع انك اعمى اذن انك جحش ساقول لابى انك جحش وانك شتمتنى يا اكحل هذا هذا اضربه اضربه لا تستطيع شيئا • ترمى الحجرة بعيدا انك اعمى لا تحسن الرمى ساقول لابى انك بليد لا تحسن الرمى وانك لا تريد ذلك قصدا وانك ضربتنى وشتمتنى ساقول لابى كل هذا • والله ساخرج لك عينيك ساخرجهما لك لتصير أعمى الا ترى انك تمشى ولا تنظر اين تضع قدميك كدت تدوس فى غربال الحلالم الا تنظر كدت تدوس القطة وهى نائمة يا اعمى كدت تقلب براد الشاى يا اجهر كدت تمشى على الرشتة المنشورة كـدت تقلب الطنجـرة وهى تغلى كدت تضرب ساقى الراقدة انك وباء اصابنى الله به سياتى سيدك الليلة سيكتفك ويحبسك فى الداموس اعرف انك تشوقت الى زيارته والبقاء فيه اياما اعرف هذا كله واتيقنه من كل تصرفاتك هذه الايام سياتى سيدك والله لا تخف لا تخف سوف تنام فى الداموس اخرج من شفاعة محمد صاحب الرسالة لتمضين ليلتك فى الداموس والتراب ينزل على راسك الليلة هذه

مشؤومة عليك • سعد الخبزة خمرت اسرع بها الى الكوشة قل للجيلانى لا يتركها تحترق ولا يخرجها عجينة وفى اى وقت تحضر لتعود بها سخنة • افتح الراديو • قم قم اطلع فوق السطح انى اسمع دويا غريبا • افتح الباب الجرس يدق • سعد اين حذائى اين لعبتى اين كرتى الحمراء • سعد اين انت اظهر ماذا اصابك طلبت منك ان تركبها فوق ظهرك فرفضت وتركتها تبكى طلبت منك ان تدور بها دورة او دورتين فى وسط الدارفرفضت يا سيدى وتمنعت وتكلفت العمل فى الحديقة تزعم انك تحب زينب كالعادة ستقول لى وتحلف لى بالايمان كلها • بالطبع بالطبع انك حملتها على ظهرك ودرت بها خمسين او مائة دورة • بالطبع بالطبع صحيح صحيح انك حملتها • ولكن يا سيدى الجميل لماذا أتتنى باكية اذن ولماذا • انها تريد ان تركبها وتدور بها كثيرا • كل دورة تقول لك دورة اخرى • دورة اخرى • لم لا لم لا هى صغيرة الدار وزعمت لى الف مرة ومرة انك تحب زينب الصغيرة ولا يحلو لك اللعب الا معها هذا كذب اذن هذا بهتان اذن • درت بها وهى على ظهرك كم كم طيلة ساعة ساعة كاملة وهى « تمل تريد ان تدور بها دائما وابدا لم لا لم لا • هى صغيرة الدار لنلب لها رغباتها كلنا جميعا يجب علينا ان لا نبكيها وانت يا سيدى • والحديقة من يعتنى بها وقد امرتك بالعمل فيها البارحة وبالأخص ردم الأثمار المعفنة لابعاد البعوض • ماذا • لا تستطيع ان تقوم بعملين لم لم تحمل زينب فوق ظهرك وانت تعمل فى الحديقة لا تفكر هكذا بالطبع انك ابله خذ خذ نصيبك يا ملعون • سعد امى دوجة ستبيض دارها اذهب اليها واعمل كل ما تطلب منك القيام به والله لو تقول لى انك مكرت او تغافلت او تكاسلت لاقتلنك ضربا • سعد اذهب الى الشط مع فتحى وزينب ولا تفارقهما احرسهما لا تتركهما يكثران من العوم او من النوم على الرمل المحرق احرسهما بدون انقطاع سعد اغلق الباب • اذهب معى الى السوق • سعد الماء للوضوء القبقاب المنشفة الزربية السجادة • يا قبيح يا بليد سيدتك تناديك • لا تفارق الدار • سعد اهبط الى البئر كرتى فى البئر اهبط اهبط لا تريد قلت لك اهبط لا تستطيع لا تحب سأقول لابى انك لا تريد ان تهبط الى البئر سأقول له انك انت الذى اسقطت الكرة • تتمتم ماذا تقول تشتم تشتمانى أسمع أسمع انك تسب الدين سأقول لابى انك تسب الدين وانك تكفر حجر على فمك يا كافر سأقول له انى رأيت البارحة من تسلل الى بيت المؤونة ومن أكل الكعك ومن أكل الجبن كل هذا سيصير فى أذن ابى أتسمع أم لا • من ضرب طارق من أنت أنا لا أشك لكن لماذا قال لك يا خديم وهل غلط هو فيما قال لا لا أبدا لقد قال الحقيقة ضربته اذن لانه قال الحقيقة لكنها حقيقة ناقصة كان عليه ان يقول يا خديم ويا بهيم هكذا يا خديم ويا بهيم لانك لست خديما فقط بل انك خديم اسود • سعد بيض البيت الكبير بيض وسط الدار البيت الصغيرة البيت الغربى البيت الشرقى اطلع فوق السدة امسح الغبرة اغسل الماعون بيض بيت الاولاد بيت الحديقة ادهن علق اهبط ادخل قم اقعد تزعم

انها اتت ومدت اليك دمينها فأصلحتها وارجعت لها رجلها المفكوكة ماذا ثم أتتك مرة اخرى وقد فكت لها يدها فأرجعتها أيضا وأتتك ثالثة وقد فكت رجلى دميتها دفعة واحدة فأرجعتهما ثم عادت وقد فككت لها راسها لا لا ابدا انت هو صاحب الفعلة أنت هو الذى فككت لها رأس دميتها هذه فعلتك أنت لا أحد غيرك لا أحد غيرك • انها قلعت رأس الدمية حينما كنت تصلح لها رجليها فصاحت واندفعت الى امها • لا لا أبدا آنت هو يا خبيث ذهبت المسكينة الى امها وهى تبكى وتصيح يا أمى سعد كسر رأس دميتى قطع لها رأسها هلكها ماتت عروستى يا أمى سعد قتل عروستى قطع لها رأسها هلكها ماتت عروستى يا امى سعد قتل عروستى قطع راسها اضرب سعد أقتل سعد اضربه اضربه اضربه • انك تعرف انها لا تكذب انها لا تعرف الكذب انك انت هو الذى فك رأس دميتها أتعرف ماذا سأفعل بك سأرجعك من حيث أتيت سأرجعك الى الفرناق لا يصلح بك الا الفرناق تشعل النار وتنام على الرماد والحطب والزبل على رأسك أخرج أخرج سعد لا تريد أن تأكل فضلة بائت تريد اذن أكل الملوك تريد « البفتيك » تريد ان تجلس الى المائدة تريد الملعقة تريد الفرشيطة تريد السكين ماذا • تقول انك انسان • تضحكنى والله ارايت نفسك مرة فى المرآة أرايت حاجبيك الحبشيين الملتويين جبينك العالى شعرك المتجمد الملتصق وذقنك الطويل المعوج أرايت ذقنكالطويل المعوج فى المرآة انظر انظر فى المرآة بالله عليك ولو مرة واحدة انصحك انصحك انصحك يا أسود انك تضحكنى والله • سعد اذهب الى محطة « الكار » سيصل سيدك فتحى بعد حين اسرع افهمت خذ محفظته من يده • سعد قم واحضر لى كأس تاى بالنعناع • سعد اشترلى الجريدة • قشر البطاطا يا سعد نظف المائدة اغسل الصحون امسح الخزانة افتح النافذة • اعملت اليوم فى الحديقة • لا • لم «تزبر» شجرة الخوخ لا تعرف انه يجب زبرها هذه الايام انك حمار كبير والحبقة لم تزبرها اذن خذ خذ نصيبك يا احمق يا ملعون يا أحمق يا أحمق لا يوجد فوق الارض من هو احمق منك واخبث منك وابلد منك وارك منك سأزبرك أنا سأنتف شعرك شعرة شعرة سعد ماذا صنعت عند أمى دوجة ذهبت لتطلع فوق السطح وتبيض ام لتتكشف عن الديار المجاورة وتجعل ترقص وتغنى كأنك مجنون لقد حدثتنى عن مكوثك فوق السطح وجريك وطلوع اطفال الجيران ولعبك معهم وتصايحكم حدثتنى عن نزولك من السطح وانت تلهث من شدة التعب فغسلت وجهك ويديك وساقيك ثم ارتميت على الفراش وسط الدار واخذت تغط فى نوم عميق ثم تكلفت التعب من شدة العمل فوق السطوح وقلع الحشائش والكنس والتصليح وربى الذى خلقنى والله لا تنام الا فى الداموس مكتوف اليدين والساقين • خرجت ولعبت فى الحى ام لا • قل يا صعلوك صلت وجلت كالسبع ماذا فعلت ستقول لى انك لم تخرج • بالطبع هذا ما أترقب وان خرجت فانك مررت بسرعة ولم تقف وان وقفت فانك وقفت برهة قصيرة ولم تقدم رجلك ولم تضرب الكرة وان

لعبت فانك كنت كالملائكة لم تلق صالح على الارض حتى فاض دمه الا تجيب هذه المرة الحجة قوية الجواب صعب الكذب مستحيل • لم تدفع صالح على الارض عمدا • بل سقط اصطدامه بك • سبحان الله لم يكن الاصطدام الا بك هكذا اتى صالح فاصطدم بك فسقط وسال دمه وانت واقف • لا لا كـــل الاطفال شهود عليك انت هو الذى دفعته على الارض عمدا وخرجت الى الحى عمدا وصلت وجلت عمدا وضربت والقيت على الارض عمدا لو مات ابن الجيران ماذا افعل لو ابيعك فانك لن تساوى ظفره لو مات فأنـا المسؤول أنا هـــو المسؤول لقد قلت لك الف مرة ومرة لا تخرج ولا تلعب مع اطفال الحى انك جلف وحش من اين لك اللعب اللطيف قالت لك سيدتك اخرج لتتفرج قليلا فخرجت واخذت تلعب وتجرى وتركض كالحصان بعد الربط حتى القيت ابن الناس على الارض أريد الآن ان اريق دمك من قدميك من قدميك مائة ضربة مائة مائة • سعد سيأتى سيدك الليلة ويقتلك أو يطردك أو يفعل بك ما يشاء ان ناديتك فلا تجيب ان بعثتك الى السوق فلا تعود الا بعد ساعات ان اشتريت لنا فلا تشترى الا اردأ الاشياء وأتيقن انك تسرق وتزيد فى الثمن سياتى سيدك الليلة سوف ترى والله لا اطيق رائحتك والله العظيم لا اريدك ان تبقى ولو ليلة اخرى فى المنزل ستذهب اين تشاء اسرق يا سيدى ناسا آخريـــن ليضعوك فى الحبس اسرق فى الشارع اسرق ديارا اخرى اما دارى فانى افطن ولا اطيق السراق اذهب فى حالك اذهب وابحث عن امك عن ابيك عن اهلك واسرقهم يا سيدى • سعد اخرج الكانون سعد سعد أين أنت ماذا لا تجيب انك مريض لا لا تكذب اخرج تشعر بألم فى رأسك لا لا ابدا كذب بهتان ماذا تنام تريد ان تنام لا لا قم قم اذهب الى السوق اذهب الى المحطة مع سيدك فتحى سيدتك زينب تناديك الى الباب الى بائع الجرائـد الى بائـع الكتب الى الجزار الى الفحام الى عم التيجانى الى دردو الى الحاج عـلى الى الكـوشة الى امى دوجة ماذا الحمى ماذا تقول الحمى التى ماذا الحمى التيفوئيدية انك تضحكنى والله تضحكنى انت تعرف الحمى التيفوئيدية ما هى قم من حينك قم يا بليد يا كذاب أنت ممثل • لا تقوم خذ خذ نصيبك يا ملعون إبك إبك الآن تريد أن تتقن دورك لا لا معى ابدا يا ملعون ابدا لا تستطيع أنت تشعر بماذا بضعف أين أين فى بدنك كله كذب بهتان بطنك ينتفخ يعظم فى النهاية انك لا تريد القيام لا تريد ان تذهب الى الكوشة لا تطرد القطة لا تفتح الراديو لا تذهب مع فتحى لا تلعب معه الكـرة لا تشعـل الكانـون لا تـربط الكلب لا تفتح النافذة لا تركب زينب على ظهرك لا تذهب الى العطار الجرس يـــدق بالطبع لا تفتح الباب سيدى مريض ضعيف حمى تيفوئيدية كما يزعم • تحرم من الاكل تحرم من الاكل أفهمت ماذا جوعان ماذا تقول هه هــه لانـك خبيث احمق كذاب ماذا تقول ما خذ خذ خذ نصيبك يا ملعون ماذا ثلاثة ايام لم تاكل بل ستبقى اربعة وخمسة وستة ستبقى طول عمرك لا تاكل ماذا تقول حمى قوية تزداد وتنقص دجال دجال انت ماذا ماذا اعصابك مشلولة ضعف قل خبث

وتدجيل يا وغد يا وغد خذ خذ خذ نصيبك يا ملعون قلت لك تمثيلك لا يصلح هو معدوم مثلك يا معدوم ماذا الحمى تزداد كذب بهتان تمثيل ماذا ماذا لا تتكلم فمك يرتعش لعابك يسيل خبث زور ستبقى هكذا حتى تقوم لا تاكل لا تاكل يا وبش يا شيطان انك لا تخدعني لا تخيفني بحيلك يا شيطان ماذا كلك ترتعش فمك يعوج عينك تدور تغور تغيب لا لا ابدا ستبقى هكذا حتى تقوم لا تتحرك ماذا ماذا قم قم لا تفتح عينيك قم قم لا تستطيع ان تخدعني ماذا لا تتنفس أبدا أبدا كذب بهتان خبث قم قم ماذا ماذا آه نبضك نبضك لا يتحرك توقفه عمدا هكذا ، توقفه عمدا بهتان سعد سعد قم قم لا تستطيع ان تخدعني أبدا أبدا ماذا ماذا آه قلبه لا يدق ؟ ! قلبه لا يدق ؟ ! قلبه لا يدق ؟ ! ... (*)

محمود بلعيد

(*) ننبه القراء الكرام الى ان صاحب القصة هو الذى رغب فى طبع القصة دون الرجوع الى السطر من البداية الى النهاية .

من ألف عام

شعر : محسن بنحميدة

أتظنني خنت العهود
وبجانبي طفل يئن ويستغيث
وجحافل الفقراء والمتشردين
يصارعون
فيصرعون
وألف رعديد لئيم
في غيهم لا يرعوون
يستهزئون
يدنسون
ما الله ما الله الكريم
جعل الحياة به مقدسة ترام
فتجتني منها الثمار
ويلذ أكلها للأنام
وتوزع الثروات في أرجائها
توزيع عدل يستقيم
به التوادد والاخاء
فيستقيم به المسير الى الأمام

☆*☆

أتظنني خنت العهود
وأنا أسير مثقلا من ألف عام
بأسى اليتامى الجاثمين على الدروب
وبكاء الثاكلات النادبات على القبور
وأنين إخواني من البشر العميم
يعذبون

ويقهــــرون
ويظلمـــــون
فى أيـة القارات من دنيـا الوجــود
مهما يكـن لـون لهم أو معتنـــق
إنى لهـم أحيـا فيتسع الأفــق
لو لاهمـو ما كان لى شعر نفق

***

أتظننـى خنـت العهــــود
« والصمت ـ قـالـوا ـ مـن ذهب »
إذ بعض أحيـــان أصيـــح
« الحـق مـر لا يقـال
لا تقـــل تثـــر الغضب »
إنى أقـول فاستريـــــح
أنا طينتى مـن ألف عـــام
لم تستسـغ أبدا كـــذب
مـن ألف عـام
وأنـا أحـوم على الحقيقـــة
مـن ألف عـــام
وأنا أهيم بجوهـر الكون الثميـــن
مـن ألف عـــام
وأنا أهيم بلحظة الخلق الحبيبة
لا تضاهيهـا الصواريخ المريبـــة
وسليمـان خزائنـه العجيبــة
وقـوى الفــراعنة الرهيبـــة
لا تسـاوى لحظـــة إذ يـوسف
عفـــة يستنكف
ذاك هـو الجوهـــر
الجاه والمـال وأهـواء البشـــر
كلهـا تفنى ويبقى الجوهـــر

*

قال لى ربى ونعم الناطق
« النفس بالسوء أمارة »
أأفقه القول ولا أصدق
واجد الحياة حين تصدق

*

أو بعد ذلك ما تزال تظننى خنت العهود
وأنا أسير محملا من ألف عام
بقداسة الخلق الكريم
وتحتم العمل العظيم
وجزالة الآمال للبشر العميم * .

أوت 1966

محسن بنحميدة

* هذا القصيد الثانى الذى ألقاه الاستاذ محسن بنحميدة بمناسبة مهرجان الشعر الذى أقيم بمدينة الحمامات فى 19 و20 أوت 1966 .

حديث بين العلم والمال

بقلم : مصطفى آغة

المـال : ألم يبلغك أنني الحلة النفيسة ، التي تحجب كل دنيئة وخسيسة ، بل حلتان يرتديهما الانسان احداهما محتشمـة نضيـرة ، والاخرى تدرك بعين البصيرة ، فالاولى تشهد لها الحواس الخمس ، وهي النظر والسمع والشم واللمس ، فالعين تمتلئ بذاك الزى اللطيف ، والاذن بالخشخشة والحفيف ، والكف بنعومة الخز الرقيق ، والانف بالعرف العبيق ، بهذا شهدت الحواس ، ان المـال زينـة للنـاس ، وقال رب السماوات العليا : المال والبنون زينة الحياة الدنيا .

العلـم : تقول ان الحال لبوس ، مشاهد ومسمـوع وملمـوس ، وقد حكمت بذاك الحواس ، وزال الريب والالتبـاس ، فما قـولك في حكـم لم يشارك فيه العقل ، ولا أيده النقل ، بل تفرد به الاحساس ، وابرقته الحواس ، ولعمرك لو استشرت النهى ، من قبل أن تفتح المـرتقى ، واقتبست منه بعض النور ، لما تخبطت في هذا الديجور ، ولما ركنت الى هذه الاحكام ، ولا اعتبرت اولائك الحكام ، فهـذا شـأنهم مهمـا استقلوا ، فكم حادوا عن الطريق وضلوا ، أما العلم فهو حلة الخلق ، التي لا تعتريها خلوقة ولا خرق ، لكنها تبدو لكامل البصيرة ، وذى الفكرة المستنيرة فيراها أفخر الحلل ، وصاحبها أعظم بطـل ، فهي الحلة الخفية ، والثروة المخيفة ، ولكنها لا تبدو للعيان ، الا بعد برهة من الزمان فتلتف حول حاملها الرفاق ، بل يكاد يحمل على الاعناق ، ويجمعون على اجـلاله ، وهو في اطمـاره واسمـاله ، واليـك هذه الأبيات ، يا أبا الحلات :

العلـم سيف لو علمت صقيـل — تصل السمـاك بحـده وتصـول
العلـم من زهر العقول لذاك قد — زهـرت به بعد القـرون عقـول
إن العليـم اذا دهـى • ذو عـدة — وأخ الجهـالـة أعـزل مكمـول

المـال : لقد تطرفت يا أبا اليراع ، وملأت بزخرف كلامك الاسماع ، واخيرا زعمت أن ستأتي بالاعجاز ، اذا التجأت الى الصـدور والاعجـاز ، وحققت بها الكلام ، وزعمت انها خير ختام ، فحد عن هذا المجال ، فلسنا في ليلة احتفال فما جئت به لا يسمن ولا يغني ، ولو رفعت عقيرتك تغني ، وها أنا مصور لك ليلة مـاجلة ، في حلل السعادة

رافلة ، ومجلسا دلت على عظمته البسط والنمارق ، وما حداه من كل نادر وخارق ، رصعت جدرانه بالصور ، فكانت دليلا على قاض معتبر ، فهب أن صاحبك كان من المدعوين ، بفضل غلط بعض التابعين ، وهبه وقف على الباب ، وهو بتلك الثياب ، يحاول خلع مداس أبى القاسم الطنبورى ، اذ رأى هذا للياقة ضرورى ، ودخل بتلك الجلالة والعزة ، فى أحسن طلعة واجمل بزة ، وقال السلام عليكم أيها الصحاب ، فردوا عليه باقتضاب واقتصروا على كلمة سلام ، وكان آخر الكلام ، فاتخذ مقعدا فى زاوية ، وكأنما ابتلعته الهاوية ، وتجنب القوم رؤيته ، واستثقلوا صحبته ، فدخل فى طى النسيان ، ولم يعد يشعر به انسان .

العالم : مقاطعا — نعم كنت امتطيت الخيال ودخلت معه المكان ، واكبرت مهابة السكان ، وشاهدت دخول الشيخ ذلك المقام ، وسمعته يلقى التحية والسلام ، ورأيت صاحبك فى صدر الايوان ، بين اولائك السادة الاقوام ، فى تجلة واكرام ، واكبار واحترام ، والغريب أنه ليس بمعقول بل رحبوا به اكراما لاثوابه كما تقول ، ثم رأيت بعد أن أهدى الشيخ سلامه ، بانت على فم صاحبك ابتسامة ، دلت على الاستنكار ، والاشمئزاز والاحتقار ، ولاحظها الشيخ فى رمسه ، فأصرها فى نفسه ، وفى هذا المقام ، يحسن الانتصاف والانتقام ، أطل الشيخ بعد حصة من ضريحه ، وتكلم ببليغ القول وفصيحه ، موجها الى صاحبك العبارة ، بكل بساطة وبعض جراءة وجسارة ، رأيتك يا أبا الدرر والانعام تبتسم عند اهدائى السلام ، ففهمت أنك تنبهت الى الحكمة الشرعية ، فى القاء التحية ، وكونها سنة وردها فرض كفاية ، كما قررته أهل الدراية ، فهل عندك ما تقول ، فانى ارى عليك مخائل الفحول .

الثرى : الكفاية أن تكتفى بالتحية وردها ، ولا يحتاج الى قول بعدها ، فاذا ألقيت التحية المعتادة ، فلا نلزمك أدنى زيادة ، وأما كيف أمسى السيد وكيف أصبح ، فليس من التحية على القول الاصح .

الشيخ : احسنت أن ثقافتك حسنة ، جارية غير آسنة ، تمر على المعقول ، وتجر معها المنقول ، فهذا الذى سألتك بسببه ، لانك أحطت بما لم أحط به ، وجئتنى بنبأ يقين ، من دون تأمل وتخمين ولعمرى ان مواهبك اجرت منى ما كان جامدا ، واضرمت فى ما كان خامدا ، فتذكرت أنه منذ أيام سالفة ، تخالفت مع بعض الغطارفة ، فى تراكيب لغوية ، وأساليب عرفية ، وكثرة الروايات ، واختلاف السادة النحاة ، حتى قادنا الجدل ، الى باب التنازع فى العمل ، فذهب على مذهب الكوفيين ، وصوبت أنا رأى البصريين ، فمن تراه أيها العليم ، على سراط مستقيم .

الثرى : نعم ان التنازع أمر مشين ، وسلوك مهين ، وهكذا حال النحاة ، فى سائر الاوقات ، فالى متى هذا النزاع ، وحتام التمادى والقراع ، ولعمرى ان ذلك لمن اكبر الاسباب ، لتقهقر ذوى الالباب •

الشميخ : ثم ذكرنا علم العروض ، وهل زائد أو مفروض ، وهل من شروط الانشاد ، ان تعلم الاسباب والاوتاد •

الثرى : ان معرفة الاسباب والاوتاد ، واجبة على كل العباد ، فما شيدت هذه القصور التى مرت عليها العصور ، الا بالاوتاد والاسباب ، وبها شقت السفن العباب •

الشميخ : ثم أقلنا قطار البحث السريع ، الى رياض علم البديع ، فدخلنا من بعض ابوابه ، واحتسينا من لذيذ شرابه ، وتجولنا بين حدائقه واغراسه ، واقتطفنا من اجناسه وجناسه ، وملأنا الاطباق من الاقتباس والطباق ، فهل عندكم بعض الحقائق ، على هذه الدقائق ، وهل تجولتم فى هذه الرياض ، وارتويتم من تلك الحياض •

الثرى : رحم الله الشيخ بديع ، فتالله لقد فاق الجميع ، وفاز على الاقران ، وقام بما يعجز عنه الانسان أليس هو مصدر كل علم ، وينبوع التصور والفهم ، وما نسبوا العلم اليه ، واقتصروا به عليه ، الا لطول باعه ، وسعة اطلاعه ، والاحاطة الكاملة ، والفكرة العاملة ، ففى قولهم علم البديع ، عبرة لكل عليم ضليع •

الشميخ : أحسنت ، يقال يا أبا الرياءات ، أن للشيخ مقامات ، بل آيات فى البيان ، سارت بذكرها الركبان ، فهل بلغك هذا الحبر ، وهل اقتفيت هذا الاثر •

الثرى : نعم اقتفيت ذلك الاثر ، وأحطت بصدق الخبر ، فعلمت أن له من علية المقامات ، ما تطأطأ له الهامات ، تطاول الاعلام ، وتلتحق بالغمام •

الشميخ : أحسنت ، ثم تناولنا الخريطة ، وسيرنا البصر فوق البسيطة ، وواصلنا الترحال ، نفتش على أعلى الجبال ، فما اهتدينا اليه ، ولا عثرنا عليه ، فهل تعلمون هذا العلم ، الذى علت قمته على كل القمم ، وفى اى البقاع ، وكم له من الارتفاع •

الثرى : أعلم هذه الاوصاف ، لا تنطبق الا على جبل قاف ، فهو المحيط بالدنيا ، والناطح للسماء العليا •

الشميخ : أحسنت ، أما نحن فلم نجد له فوق البسيطة من أثر ، ولا علمنا له فيها مستقر •

الثرى : عليك بسيرة ذى يزن ، فهى مستودع هذا الفن ، ففيها البيان

والتفصيل ، والاقناع وارواء الغليل ، وانك لواجد فى الصحف العتيقة ، ما لم تجده فى التى على أحدث طريقة ، فاغترف من هذه المؤلفات ، فان منهلها عذب فرات ، ودع الخرائط والصور ، وغص فى يم تلك السير ، واستخرج منه ما ينفع الناس ، ويعلو على الابريز والماس ، أنا أقسمت أن لا أطالع كتابا فيه صورة ، ولو كانت لحورية مقصورة ٠

الشيخ : ثم قصدنا التاريخ المجيد ، حتى وقفنا على باب هارون الرشيد ، ذلك الملك الهمام ، وغرة جبين الايام ، ولكنه محاط بأسرار ، تتخالف فيها الافكار ، ولا زالت فى ظلمة حالكة ، ولا سيما فيما يتعلق بالبرامكة ، فهل عندك يا ذا الرأى السديد ، مفتاح سر هذا الملك العتيد ٠

الثرى : ان الملك هارون الرشيد ، هو صاحب البئر المعطلة والقصر المشيد ، وهو الملقب بذى الاوتاد ، وهو الذى جاب الصخر بالواد ، وكان يدعى فرعونا فى اول أيامه ، ثم دعى هارون بعد اسلامه ٠

الشيخ : أحسنت ، ثم اضاءت أشعة الكهرباء ، بمجالس الشعراء والادباء ، فمرت علينا الايام ، مرور دائرات الافلام ، ولاقينا منهم الاعلام ، فى الجاهلية والاسلام ، ثم تخطيناها الى مجالس النساء ، وتخيرنا مجلس الخنساء ، فروت لنا من أشعارها ، وسقتنا من عصير افكارها ، وسبحنا فى معانيها ، الى أن بلغنا قولها فى رثاء أخيها :

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فهل عندكم المام ، بهذه الصخور الاعلام ٠

الثرى : أعوذ بالله من احتراق العلم ، فانه علامة جيش منهزم ، وعنوان التقهقر والانكسار ، وطليعة الخراب والدمار ، فهل تحرق الاعلام ، والجند الى الامام ، فسحقا لهذا الفكر الشاذ ، والغزل البارد ٠

الشيخ : أحسنت يا أبا النقود ، فيما بذلته من الجهود ، فلقد ظهر من براعتك ، ما دل على فقدان ثقافتك ، وثبت فيما ابديته من الآراء ، أن كل الصيد فى جوف الفرا ، وأظن أن هؤلاء السادة ، لم يتعودوا منك هذه الاجادة وما اكتشفوا هذا الكنز الثمين ، الا بفضل هذا المسكين ، أما وقد استمعوا لكلامك ، وتبينوا منزلتك ومقامك ،

فسوف يرفعون جثتك فوق الصدر ، ويطيرون بها الى منازل البدر ، وسيكون خروجك من هذا الاحتفال ، كدخولي الى هذه الاسمال ، ولتعلم بأنه اذا تثقفت العقول ، وارتوت من المعقول والمنقول ، لا تضرها البطون الطاوية ، ولا الجيوب الخاوية ، وسوف يبتسمون من بزتك ورؤاك ، ولكنك لا تدركه لانه من وراك ، فسبحان من أدخلك كما خرجت ، وأخرجك كما دخلت ، فكأني استعرت حلتك البديعة ، واعرتك عباءتي الفظيعة ، والعبرة بالختام ، وعليكم السلام ٠

مرفأ العذاب

شعر : جمال الدين حمدي

هتف بها : عودي الى ... نظيفة او قذرة .. عودي ..
فكتبت تخبره بانطفائها .

حَبَيبِي انْتَهَيْنَا.. حَبِيبِي انْطَفَأْنَا.. وَلَمْ تَبْقَ فِي دَرْبِنَا غَيْرُ ذِكرَى
جَعَلْتُ بِهَا اللَّيْلَ يَنْهَارُ حَتَّى لَقَدْ أَفَلَ النُّجُمُ يَبْكِيكَ ذُعْرا

وَفِي خَافِقِي يَسْتَرِيحُ العَذَابُ.. لَقَدْ وَجَدَ الآنَ مِنِّي مَكَانَهْ
فَفَجَّرَ عَيْنَيَّ.. كَسَّرَ هُدْبِي.. وَشَدَّ إلَى طُهْرِ رُوحِي الخِيَانَهْ

وَكَانَ الذي كَانَ ... لاَ .. لاَ تَعُدْ لِي، تُلَوِّثُ عُمْرَكَ بِي مِنْ جَدِيدِ
لَقَدْ أَطْفَأَ اللهُ فَجْرِي فَمُتَّ... وَهَيْهَاتَ أَنْ اسْتَرِدَّ وُجُودِي.

خَطَايَايَ كَالافْعُوَانِ وَرَائِي يُرَوِّعُ خُطُوَاتِي الضَّائِعَهْ
وَأبْدُو كَلاَ شَيْءَ بِي ... أيَّ زَيْفٍ يُوشِّي مَظَاهِرِيَ الخَادِعَهْ

حَبِيبِي ... شَوَّهْتُكَ الآنَ بِالفَحْمِ ... شُلَّتْ يَدُ شَوَّهَتْكَ اعْتِسَافَا
وَتَهْتِفُ بِي ... وَتَقُولُ تَعَالَى ... وَحَقَّ عَلَيَّ بِأنْ .. أنْ أجافَى
وَتَتْرُكُنِي فِي الطَّرِيقِ أعِيشُ مَعَ اللَّيْلِ ... يَمْضُغُ عَارِي حَيَاتِي
وَتَقْتَاتُ مِنْ مُقْلَتَيَّ الدُّمُوعُ ... لاغْسِلَ ذَاتِي... لاغْسِلَ ذَاتِي

فَكَمْ لاهِفٍ قَوَّضَ الطُّهْرُ مِنِّي ، وَنِمْتُ حُطَاما عَلَى سَاعِدَيْهِ ...
... وَبَعْدَ ثَوَانٍ يَقُولُ وَدَاعاً وَيَرْجُو بِأَنْ لاَ أَعُـودَ إلَيْـهِ
وَيَبْصُقُنِي دَرْبُهُ.. وَأَعُودُ.. أعُودُ لِنَفْسِي وَمِنْ حَيْثُ جِئْتُ
وَصَوْتُكَ يَمْلا سَمْعِي : (تَعَالَيْ..) ... فَهَلاَّ عَرَفْتَ لِمَاذَا سَكَتُّ

حَبِيبِي انْتَهَيْنَا... حَبِيبِي انْطَفَأنَا.. فَدَعْنِي إلَى النَّدَمِ الاخْرَسِ
يَلُفَّ حَيَاتِي صَمْتٌ كَبِيرٌ.. وَيَعْصُرُنِي الاثْمُ فِي أكْؤُسِـي
وَأشْرَبُ أشْرَبُ وَا يُبْسَ حَلْقِي...سَيَجْرَحُ حَلْقِيَ مَا أشْرَبُ
وَأكْتُبُ.. أكْتُبُ... إنِّي أذُوبُ ... فَهَلْ سَوْفَ تُدْرِكُ مَا أكْتُبُ

جمال الدين حمدي

دراجة حمراء رائعة

قصة : بقلم حسن نصر

أنا لم اطلب منك ابدا مكافأتي ٠٠ انت التي وعدتني بذلك ٠٠ كنت اقوم بعملي على نحو طبيعي ، دون ان افكر في ان انال الرضا من احد ٠

لم يكن معلمنا يجازي احدا من اجل عمل يقوم به ، بالرغم مما كنا نزخر به من حيوية ونشاط ٠٠ ولم تنازعنا اية فكرة ضده ٠٠ كان لطيفا معنا ، وكنا لا نقوم بعمل لا يرضى عنه ، ولا ناتي اى سلوك شائن ٠٠ فجميع الدروس التي يلقنها ايانا ، استوعبها بلا مشقة ، ومن غير ان احتاج الى من يساعدني على فهمها ٠٠ لست اقول ذلك مفاخرا ٠٠ كنت أجيب عن الاسئلة التي توجه الينا ٠٠ لا أقول ببراعة فائقة ٠٠ فهنالك دائما من يفوقك ذكاء ومقدرة ٠٠ وانما في الغالب تكون اجاباتي صحيحة ٠٠ ومع ذلك فما كانت تنالني كلمة رضا واحدة ٠٠ وكذلك الشأن بالنسبة لبقية الاطفال ، وحتى لمليكة التي لا يدانيها احد من ابناء الفصل ، والتي كانت تنطوي على مواهب قل ان يتمتع بها غيرها ٠٠ ولها مقدرة على استيعاب الاشياء ، يعجز الكل عن بلوغها ٠٠ لكن معلمنا ظل لا يجيبها بكلمة شكر الا نادرا وبألفاظ سريعة ومقتضبة ، كثيرا ما تتلاشى قبل ان تبلغ آذاننا فلا نسمعها ٠٠

ولقد الفنا طريقته هذه ، فما كان احد منا ليباهي او يفاخر الآخر ٠

صحيح ان هناك كثيرين من ابناء الفصل الذين لم يكونوا يهتدون في الغالب الى عمل جيد ، كان الحديث عن مليكة لا يدخل البهجة في نفوسهم ، ولا يريدون اللعب معها ، ولا يكلمونها ، لكن ذلك لم يكن ليعني شيئا كثيرا ٠

فقد ظلت مليكة تحظى بمحبة الكثيرين من ابناء الفصل ومن غيرهم ممن في مقدورهم ان يقدموا لها الهدايا ٠٠ لكن احدا لم يعمد الى مكافأتها بسبب تفوقها، وظلت خالية الذهن من كل شيء يقدم لها على انه مكافأة ٠٠ لا تعرف احدا وعدها بنوع من الهدايا ، مجازاة واعجابا بعملها ٠ مثلما اعرف انا ذلك ٠ وكما تعلمت منك يا امي ! ٠

فما كنت لاهتدي لمثل هذه الاشياء بمفردي ، ما لم تكوني انت التي نبهتني اليها ٠٠ كنت ألاحظ اللعب المتنوعة ٠٠ اراها معلقة في دكاكين الباعة او في متناول الاطفال ، دون ان اشعر في اية لحظة بميل نحوها ، ولا رغبت في احداها ، او عرفت ان شيئا كهذا يمكن ان يكون مبعث تسلية ، قبل ان اتعلم منك ٠٠ انت التي منيتني بهذه اللعبة ، وصورتها لي ابدع صورة ٠٠ ولقد

شغلني حديثها الى حد الهوس ٠٠ وبت احلم بها حتا ٠٠ وانى ارى فى المنام : « انى أركب دراجة حمراء متوهجة ٠٠ ولم اكن ابذل كبير عناء ، وانا انطلق بها ٠٠ كانت تسبح بى وكانني امتطى صهوة جواد ٠٠ ولاحت مليكة وهى تشير لى من اعلى ربوة وتضحك ٠٠ وبقدر ما كنت اجهد فى السير كى ابلغ الربوة ، بقدر ما كانت الدراجة تتباطا ، وكأن ريحا معاكسة كانت تردنى باصرار » ٠

ما زلت اذكر اول مرة فيما كنت تتلقينني بين ذراعيك ، وتغمرين وجهى بقبلاتك ، بعد ان قدمت لك دفتر درجاتى بالمدرسة ٠٠ وكنت احتل المرتبة الثانية بعد مليكة ٠٠ ويبدو ان هذا النجاح قد بهرك ، فرحت تثنين على الثناء الحسن ٠٠ من انني ولد ٠٠ يستحق كل مكافأة ، ولسوف تخاطبين ابى فى هذا الشان حتى يختار الى لعبة جميلة ألهو بها مع اترابى ٠٠ ذلك لانى متفوق فى دروسى ٠٠ وان الاطفال الذين هم مثلى بمقدور الانسان ان يقدم لهم شيئـا يفرحون به ٠

واذكر اننى سألتك عن نوع هذه اللعبة فى ذلك الوقت ٠٠ فاجبتنى بانها ستكون كرة ٠٠ وكان خليقا بى ان ارغب فيما هو اكبر من الكرة ، او اطلب الشىء الذى يروقنى على الاقل ٠٠ لكننى لم اعارض هذا الاقتراح ٠٠ لانه لم تكن لدى فكرة واضحة عن نوع اللعبة التى يمكن ان اختارها ٠٠ لا لكون هذه اللعبة كانت لا تثيرنى بل لانه لم يحصل من قبل ان امتلكت فى يدى شيئـا كهذا ٠

وانتظرت بعد ذلك اليوم الذى يدخل فيه ابى وهو يحمل معه الكرة ٠٠ لكن ذلك اليوم لم يأت ابدا ٠

ولقد طال تساؤلى واستبد بى الاعياء ، واخذت هذه الفكـرة تتـلاشى من مخيلتى كلما امعن الزمن فى الابتعاد ٠٠ ونسيتها ٠

وفجأة استيقظت هذه الامنية من جديد٠٠فيما كنت تتلقيننى مرة اخرى بين ذراعيك ٠٠ وتغمرين وجهى بقبلاتك ، وانا احمل اليك دفتر دراجاتى ٠٠ ولا اخالك الا قد لاحظت علائم الحزن مرتسمة على وجهى ٠٠ وما كان ذلك ليقع من نفسك موقع الرضا ٠ وانت التى تكنين لى الحب ٠٠ ووعدتنى هذه المرة قائلة وفى نبرة اصرار :

« ان الكرة شىء صغير ٠٠ وانك تستحق ما هو اكثر من الكرة ٠٠ سـوف اقنع اباك فى ان يغير رايه ٠٠ وان يقتنى لك عوضا عن ذلك دراجة صغيـرة مثلا ٠٠ اليست فكرة رائعة ٠٠ دراجة صغيرة سريعة العدو ٠٠ كيف تختار ان يكون لونها ؟ ٠٠ حمراء ٠٠ حمراء قانية ٠٠ وبها ناقوس ايضا ٠٠ لا تحزن

يا رفيق ٠٠ قبل امك فى خدها ٠٠ اذن اتفقنا ٠٠ دراجة حمراء رائعـــة ٠٠ سريعة العدو وبها ناقوس صادح الصوت » ٠

وذهبت احدث اصدقائى عن دراجتى الموعودة ٠٠ كما حدثت بذلك مليكة ، ولقد تعانقنا وكاد الفرح يستطير بنا ، واتفقنـــا على ان تصـــاحبنى الى البيت لتجرب معى ركوب الدراجة ٠

ولم تعد مليكة خالية الذهن من هذه الاشياء كعهدها من قبل ، فذهبت تطلب من ابيها ان يشترى لها لعبة ٠٠ واستطاعت ان تتحصل على بغيتها بسهولة ٠٠ فقد اشترى لها كرة ٠٠ وعوض ان ترافقنى مليكة الى بيتنا لتجرب معى ركوب الدراجة ٠٠ كنت انا الذى صاحبتها الى بيتها لترينى كرتها ولاتلقفها معها حينا من الوقت ٠

وظلت مليكة تسألنى بعد ذلك عن دراجتى وتعيد سؤالها ٠٠ وانا لا اعرف كيف اجيب ٠٠ لا لاننى فقدت الجواب وانما لانه لم يعد لدى ما اقوله لها ٠

ان امر الدراجة لم يعد يعنينى بعد الآن يا امى : ولن تسمعينى ثانية اسألك عنها او اتحدث اليك فى شأنها ٠٠ لقد مللت انتظارها وكرهتها ٠٠ كرهت كل الدراجات الحمراء الرائعة ٠٠ لكن الذى بات يعذبنى هو ان تكون مليكة قد كونت عنى فكرة خاطئة ٠٠ ولربما نعتتنى بالدجل والافتراء او توهمت اننى اريد ان استأثر بالدراجة لنفسى دونها ٠٠ وانا لا اريد ان اخسر صداقة مليكة ، ولا اقدر على مفارقتها ٠٠ فهى دائما لطيفة معى وتحبنى مثلما احبها ٠

تحاولين الآن ان تأخذينى الى صدرك يا امى ٠٠ ! تريديـــن تعـــزيتى ٠٠ وتمسحين بكفك دموعى ٠٠ أعلم جيدا ان نيتكما صادقة ـ أنت وأبى ـ فى اشتراء الدراجة ٠٠ وانكما بصدد جمع ثمنها ٠٠ لكن كم يستغرق ذلك من الزمن ٠٠ لقد استطاعت مليكة ان تتحصل على الكرة فى اقل من لمح البصر ٠٠ تقولين اننى لست مثل مليكة ٠٠ ولماذا لا اكون مثلها ٠٠ انها ليست خيرا منى فى الدروس، وكثيرا ما كنت افوقها ٠٠ (ألم يكن أبوها رجلا كما ان أبى رجل) ٠٠ فليس ثمة من هو خير من الآخر ٠٠ ولم تكن مليكة تملك اكثر منا مالا ٠٠ انا لا أفهم معنى ان يكون الانسان فقيرا ٠٠ ألا يشتغل ككل الناس ؟! انى ارى الاطفال فى المدرسة ثيابهم دائما احسن من ثيابى ، وهم يملكون فوق هذا مـــا يشترون به كل الاشياء التى تعجبهم ٠

ثم انى بعد ذلك لم اسالك عن مثل هذه اللعب ، فما كنت لاشعر بميل نحوها البتة ، ولم ارغب كثيرا فى الحصول عليها ٠٠ انت التى وعدتنى بها وصورتها

لى ابدع صورة ٠٠ فلماذا ٠٠ لماذا ما دمت تعلمين جيدا انك عاجزة عن الوفاء بوعودك ؟!

أمي ٠٠ أمي او تبكين ٠٠ لا تسيىء فهمي ٠٠ انا لم اقصد ابدا الاساءة اليك ٠٠ انما اردت فقط ٠٠ اردت ٠٠ ان اقول ، انه ما كان ينبغى ان تعدينى ٠٠ ما دمت عاجزة عن البر بوعودك ٠٠ ولا تحسبى ان حبى لك سينقص بسبب من ذلك حتى وان خسرت صداقة مليكة التى هى بالنسبة الى شيء كثير ٠

كنت المح الدموع فى عينيها وهى تتأملنى ٠٠ وكأنها تحاول ان تعتذر ٠٠ ان تقول لى : سامحنى يا ولدى ٠٠ كانت الكلمات ترتعش على شفتيها ٠٠ لكن صوتها فى ما يبدو قد خانها ٠٠ لقد خنقتها العبرة ، فاحتوتنى فى صدرها ، واستسلمنا للصمت ٠

حسن نصر

الفكر

مجلة ثقافية

تصدر شهريا بتونس

مؤسسها ومديرها المسؤول : **محمد مزالى**

رئيس التحرير : **البشير بن سلامة**

المراسلات : صندوق البريد 556 ـ تونس

الحساب الجارى بالبريد 33769 ـ تونس

مقدمة في الشعر الملحون

بقلم : عبد المجيد بنجدو

— 13 —

لم تكن الرسالة الماضية والاولى فى الشعر الشعبى غير مدخل تعجلت فيه ذكر البحور الشعبية • وكان علي ، فى هذه الرسالة الاولى ، أن أمهد لهذا الشعر أولا ثم أحدد المفرد الايقاعي فيه ، واستعرضُ اوزانه • ويدعونى الى هذا التمهيد أمران أساسيان :

اولهما الحديث فى فقه اللغة ، والتعرض الى طبع الكلمة من حيث هى ايقاع فى لغة التخاطب التونسية ، سواء أكانت لغة التخاطب هذه حضرية ، أو بدوية ، أو قروية •

وثانيهما تحديد المفرد الايقاعي ، ويكون هذا التحديد نتيجة المبحث الاول ، وان تبويب هذا البحث الى مبحث أول ، ومبحث ثان ، وتخصيص المبحث الاول بدراسة فقه اللغة يدعو الى تأمل • ذلك لان فقه اللغة كلمة اوسع مفهوما من البحث الذى أعنيه فى دراستى هذه •

فمن مقتضيات فقه اللغة النظر فى تطور الكلمة باعتبارها كائنا يعيش مع الاحياء ويقطع معهم مراحل التاريخ البعيدة • ويقتضينى كذلك النظر فى تطور الكلمة من حيث هى لفظ واقصد بهذا الناحية الشكلية للكلمة وتطورها من حيث هى لفظ يتحمل معنى ، واقصد بهذا ائتلاف اللفظ مع المعنى اى ائتلاف الشكل مع الجوهر، وائتلاف المعنى باللفظ ، ولباسه اياه ، يدعواننا كذلك الى علم آخر هو علم تطور اللفظ مع المعنى ، وتطور الشعب التاريخى مع الكلمة ، لان الشعوب هى التى تعطى اللفظ معناه ، وان بحثى هذا لا يطرق ناحية من هذه النواحى ، فانا لا أعنى بالمظهر الشكلي للكلمة ولا بالمعنى الذى تتحمله إطلاقا •

فالذى يعنينى من فقه اللغة أمر ثالث ، قد لا يكون احد من الباحثين درسه ، وافرده بالنظر ، فى دراسته الادب الشعبى •

وهذا الامر الثالث يمكن ان يكون علما جديدا يضاف الى فقه اللغة ٠

لعلك تسألنى ملحا ، ايها القارىء الكريم : فى هذا الامر الثالث ؟

إن هذا الامر الثالث هو النظـر الى الكلمـة لا من حيث هى لفظ ، ولا من حيث هى معنى بل النظر فى شىء آخر خـارج عن نطاقى اللفظ والمعنى ، وهذا الامر الثالث فى الكلمة هو حركيتها ، ولست أعد فى هذه الحركية ، حركية النحاة التى هى علامة وظيفة الكلمة فى الجملة ولا حركية علماء الصرف الذين يضبطون نوعية الحركة من حيث هى كسر ورفع ونصب فى غير الحرف الاخير من الكلمة ، لان الحرف الاخير من الكلمة وحركته من خصائص علم النحو ٠ وهكذا نرى ان النحويين اقتسموا الكلمة نصفا مع علماء الصرف ٠

وبقىٍ جانب ثالث لم يطرقه واحد منهما اى من النحويين والصرفيين ٠ هو علم الكلمة من حيث هى حركة كاملة وهى الحركة التى يعقبها سكون حيا كان أو ميتـا ٠ ومن حيث هى حركة مقطوعة ، والحركة المقطوعة هى الحركة التى لا ساكن بعدها ٠

وحتى علمـاء العـروض الذين كان لا بد لهم من ان يدرسوا علم الحركة ، وان يستنبطوه ليخدموا به علم العروض وغيره من علـوم الكـلام ، كان هذا الكلام شعرا أو نثرا أو سجعا كان عربيا أو غير عربى لم يستخدموا من هذا العلم الا ما كانت تدعوهم له حاجة الشعر وحسب ،

وحتى علماء الشعر نظروا اليه باعتباره حركات وسكنات ، وافردوا السكون عن الحركة كما لو كان السكون يستقل بذاته كما يستقـل الحـرف الذى يقع عليه السكون فى الكلمة ، فنظروا الى الحركة مستقلة بـذاتها فى الاسبـاب الثقيلة ، وجعلوا السكون مستقلا بذاته لا ينتمى الى مفـرد ايقـاعى ٠ عندما بوبوا الزحافات ، وتظهر نظرة علماء العروض واضحة فى زحافى الطى والقبض٠

فالطى زحاف يقع فى المفرد الايقاعى الثـانى الذى هو السبب الخفيف فى مستفعلن والقبض زحاف يقع فى المفرد الايقاعى الثانى من فعولن ومفاعيلن ٠

وهذه صورة الطى :

1 2 3

(ـ o) + (ـ o) + (ـ ـ o) = (ـ o ـ o ـ ـ o) مستفعلن

فان الطى يدخل المفرد الايقاعى الثـانى الذى هو السبب الخفيف ، والطى هو حذف ساكن هذا السبب فتضاف حركة هذا السبب المطـوى الى المفـرد الايقاعى الثالث الذى هو الوتد المجموع فيتألف من ذلك فاصلـه صغـرى ٠ وصورة هذه الجملة الايقاعية بعد الطى :

3 2 1

(ـ o) + (ـ) + (o ـ ـ) = (ـ o ـ ـ ـ o) مستفعلن

فتأمل هذا ايها الدارس مع الزحاف الموالى الذى هو القبض ٠

فالقبض كالطى هو حذف ساكن السبب الخفيف الذى ورد ثانيا فى الجملة الايقاعية الا ان العروضيين يسمونه قبضـا ولا يسمونه طيـا ٠ ذلك لانهم لم يقرروا فى الشعر مفردا ايقاعيا ولم ينظروا الى الحركة من خلال علم كان عليهم ان يستنبطوه هو علم الحركة بل نظروا الى هذا الساكن واعنى به الساكن فى السبب الخفيف الوارد ثانيا فى الجملة الايقاعية ، كعـلامة منفصلة ، أو كحركة منفصلة والسكون ليس حركة ولا ينظر له بمفرده مقطوعا عن الحـركة ، فانه يمكننا ان ننظر الى الحركة مفصولة عن السكون ولا يجوز لنا ان ننظر للسكون منفصلا عن الحركة لكن علماء العروض عندما قرروا (القبض) الذى هو أحـد الزحافات الاربعة التى تلحـق السبب الخفيف نظـروا الى السكـون منفـردا ومنفصلا عن الحركة ٠

وصورة القبض هى هذه :

2 1

(ـ ـ o) + (ـ o) = (ـ ـ o ـ o) فعولن

3 2 1

و (ـ ـ o) + (ـ o) + (ـ o) = (ـ ـ ـ o ـ o ـ o) مفاعيلن

فانت ترى هنا فى هذين المثالين ان السبب الذى قطع عنه سكونه كان ثانيا فى الجملة الايقاعية شانه شان السبب المطوى الذى وقع ايضا ثانيا فى الجملة الايقاعية فلماذا يسمى هذا الزحاف قبضا والآخر طيا ؟

سمى الاول طيا لان السكون كان رابعا فى الجملة الايقاعية ٠

وسمى الزحاف الثانى قبضا لان السكون كان خامسا فى الجملة الايقاعية ويتبين لك بعد هذا ان علماء العروض لم يهتموا بالحـركة الكـاملة والحـركة المقطـوعة ، بل نظـروا ، كما أسلفت ، الى الحـركة منفصلـة عن السكـون والى السكون منفصلا عن الحركة ــ وهذا خطأ بينته فى سياق رسائلنا وخلال كل مرحلة من هذه الدراسة ، وهذا البحث ٠

فعلم الحركة اذن علم جديد كان ينبغى ان يوضع لا للشعـر فحسب ، بل علم يسلط على الكلام شعرا كان أو نثرا أو مقـامة ، لان من شأن هذا العلـم الجديد ، ان يضبط المسافات الايقاعية ، من حيث هى ظاهرة من ظاهرات مزاج الكلمة ، ولم يكن مزاج الكلمة غير مزاج الناطقين بها ٠ وهكذا يمكننا ان ندرس طبائع الامم بدراسة لغاتها ٠

فالكلمة عند الامم ظاهرة تاريخية تعيننا على فهم أمزجة هذه الامم وطباعها • والكلمة ظل هذا المزاج ، وأثر تلك الطباع • فاذا كانت الاقاليم من حيث هى تربة ، وماء ، وهواء ، وجبال وسهول يقاس فوق هذه الارض بخط العرض • ويحددها المناخ ، وطبيعة الارض وخصائصها الزراعية والفلاحية فان الكلمة كذلك تعين على ابراز خصائص هذه الامم ، وتعين على فهم طباعها وأخلاقها •

وان علم العروض كان اولى له ان يكون فرعا من فروع علم الحركة ، هذا العلم الذى يمكننا ان ندرس به ماهية النثر وغيره من فروع الكلام الاخرى •

وبفضل علم العروض كان الشعر هو المظهر الحركى الوحيد الذى يحافظ على ماهية الكلمة العربية ومزاجها ، والشعر هو الذى يشكل الكلمة ويقبلها ويرفضها • يقبلها اذا كانت الكلمة من طبعه ومزاجه ، ويرفضها اذا كانت من أفق غير أفقه •

وقد كنا أشرنا الى ذلك فى الرسالة الماضية ، وابدينا بعض الشك فى صيغه من صيغ الكلمة العربية ، وهى صيغة اسم الفاعل من المضاعف كشاذ من شذ ، وحاد وشاب • وقلنا ان مثل هذه الصيغة لم يقبلها الشعر العربى ولن يقبلها الا فى الضرب بعد تخفيفها •

ونحن لا يمكننا ان نجزم بان هذه الصيغة صيغة عربية ، أو هى صيغة غير عربية • لان مثل هذا الجزم يدعونا الى دراسة طويلة ليس فى هذه المقدمة محلها • يقول صاحب العمدة فى صفحة 137 من كتابه العمدة الطبعة الثالثة معرجا على هذا الموضوع باقتضاب : وليس فى جميع الاوزان ساكنان فى حشو بيت إلا فى عروض المتقارب •

فان الجوهرى أنشد ، وانشده المبرد قبله :

ورمنا القصاص وكان التقاص فرضا وحتما على المسلمين

قال الجوهرى كانه نوى الوقوف على الجزء ، وإلا فالجمع بين ساكنين لم يسمع به فى حشو بيت •

قال صاحب الكتاب : إلا ان سيبويه قد أنشد :

كانه بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر

باسكان الحاء وادغامها فى الهاء والسين قبلها ساكنة • انتهى كلام صاحب العمدة •

فانت ترى هنا فى هذا الكلام الذى نقله العمدة عن الجوهرى وعن سيبويه

ان الجوهرى وسيبويه والمبرد كلهم يقف وقفة الحيرة امام كلمة التقاص التى وردت فى البيت الاول ، وكلمة (مسحه) التى وردت فى البيت الثانى الذى رواه سيبويه ، وكانهم يبحثون عن مخرج ، ولكنهم لا يتشككون إطلاقا فى صيغة اسم الفاعل عن المضاعف الثلاثى ذلك لان القرآن أورد هذه الصيغة مثل كلمة (مدهامتان) فى سورة الرحمن ، فما هو حل هذا اللغز، وكيف تكون هذه الصيغة صيغة عربية وهى لا تدخل الشعر ،

ونحن نرى الجوهرى يتقلقل امام البيت الشعرى ويلتمس له تخريجا فيقول : (كانه نوى الوقوف على الجزء) وهو يعنى القائل الذى تنسب له البيت ،

وانا أقول : ما هى قيمة هذا البيت ، وأقول : ألم يصنعه احد المناظرين من علماء اللغة ليحتج به لعربية الصيغة ؟ وكثيرا ما يصنع المتجادلون الحجة ليتخلصوا من الورطة فى الجدال الذى يقول التاريخ عنه انه كان عنيفا بين اللغويين ثم لنفرض ان هذا البيت لم يكن مصنوعا • فعلينا ان نتساءل من هو قائله ، وهل كان قائله حجة • واذا كان ذلك كذلك فبماذا نفسر شذوذ هذا البيت• ان العرب فى شعرهم لم يستعملوا هذه الصيغة• فان كل هذه الامور لا قيمة لها ، فالامر يدعو الى اكثر من هذا يدعو الى النظر فى اصل المشكلة ، وهى صيغة اسم الفاعل من المضاعف الثلاثى ، وهل ان هذه الصيغة موجودة فى النصوص القديمة التى وصلتنا سواء أكانت هذه النصوص شعرية أو نثرية •

اما انا فأرجوا ان أوفق فى القيام بهذا البحث • فانه بحث هام تجدر العناية به •

وان الشعر العربى وحده هو الذى يضعنا امام هذه المشكلة وهى مشكلة التقاء الساكنين •

ومن اجل هذا كان الشعر العربى ديوان العرب • وكان حجة على العربية أو على المفرد العربى ، واننا لا نجد بعد القرآن كتابا ولا وثيقة نسلطها على الجملة العربية والكلمة غير الشعر •

ذلك لان القرآن مقدس ، وان قدسيته دعت العلماء الى ضبطه والعناية به ، واستنبطوا للقرآن علما خاصا هو علم القراءات،

هذا العلم الذى لم يحافظ على الكلمة العربية وحسب بلحافظ الى جانب ذلك على اللهجات العربية •

واذا استطاع علماء النحو والصرف ان يحافظوا على قوانين الكلمة العربية فانهم لم يحفظوا كيان اللهجات العربية بمثل ما حافظ عليها علم القراءات ومخارج الحروف • وهو علم قد أضاعه العرب ، فاضاعوا بذلك عنصرا هاما من

لغتهم سمح للعجمة بان تدخل لهجاتهم وان هذا العنصر ما زال يحافظ عليه القرآن بفضل علم القراءات ذلك العلم الذى كان علينا ان نسلطه نحن على كل النصوص العربية القديمة باعتبار القرآن نزل بلغة العرب • وباعتبار ان القرآن كان نصا من تلك النصوص القديمة ، والقرآن والشعر هما العنصران اللذان ساعدا على ضبط الكلمة من حيث هى دال ومدلول ، وشكل وفحوى • ومن حيث هى حركة وسكون • فالكلمات ضبطت فى الشعر وفق مزاج الايقاع العربى ، ووفق فطرة العرب •

واذا كان النثر العربى حرف وبدل من حيث هو مفرد ، ومن حيث هو جملة ، بمفعول التاريخ الاسلامى ، ذلك التاريخ الذى كان احد مظاهره اختلاط العرب بالاعاجم هذا الاختلاط الذى تفرضة الدعوة الاسلامية ، والرسالة المحمدية التى جاءت للناس كافة •

فان علماء اللغة وقفوا امام هذا الكلم العربى وقفة الحيرة ذلك لان اللغة العربية هى لغة القرآن وهى لغة الدين وهى لغة الجنة • وهكذا نرى فى الدعوة الاسلامية تناقضا تاريخيا •

ويبرز هذا التناقض فى الاممية الاسلامية واخراج الدين الاسلامى من نطاق دين العشيرة والقبيلة الى الامم كافة • ثم فى المحافظة على احد مقومات القومية العربية التى هى اللغة •

فالدين الاسلامى دين حافظ على القومية العربية • وألغى فى الوقت نفسه الحدود القومية والاقليمية لكل الامم • فالناس فى الاسلام سواء ، لا فضل لعربى على اعجمى •

فالدين الاسلامى لا يدعو البشر الى كلمة واحدة ، والى فكرة واحدة فحسب فهو يريد ان يدعم هذه الاممية ويجعل لها لغة واحدة تقرب بينها واختار من بين هذه اللغات لغة العرب ،

وكم راود هذا الامل المفكرين فى احقاب التاريخ القديم والحديث بان يجعلوا للبشرية لغة واحدة • ويبقى الاختلاف بينهم فى اختيار هذه اللغة ؟ وعلى اى اساس يقع اختيار هذه اللغة •

اما المسلمون فانهم اختاروا ان تكون هذه اللغة اللغة العربية • لان الله سبحانه وتعالى اختارها من بين اللغات الاخرى وأنزل بها فرقانه على الناس ، والخير فيما اختاره الله •

ومن أجل هذا الغرض عمد علماء الاسلام الى تدوين اللغة العربية ، وساعدهم القرآن والشعر على ذلك • وهذا ما يفسر اختيار النحاة للشعر شاهدا لهم فى

قاعدة يقعدونها عندما يعوزهم المثل من القرآن . وتبع علماء النحو علماء الصرف فنظروا الى معانى الافعال وصنفوها وجانسوا بينها واستنبطوا من ذلك القياس .

واذا كان علم النحو عنى بنوعية الحركة فى اواخر الكلمة ، وعلم الصرف بنوعية الحركة فيما عدا ذلك ـ فان هذا العلم اى علم الحركة ، يعنى بالحركة دون الالتفات الى هذه النوعية والاهتمام بها .

فالرفع والنصب والكسر لا يتعدى ، فى مفهوم هذا العلم ، ان يكون حركة . إن الحركة واحدة فى هذا العلم والسكون تابع لها لا يفارقها . ولم يكن السكون غير النقطة الاخيرة أو نقطة النهاية فى المـد الحركى .

فالسكون لم يكن له قط وجود ذاتى . لذا أهملته عندما عددت الحركات .

فالسكون هو القفلة ، اعنى قفلة الحركة ، وهو نقطة النهاية فى الخط الحركى . والخط الحركى خط سمعى .

فاذا كان علماء الهندسة قد هندسوا الخط البصرى .

فعلى م لا نهندس نحن الخط السمعى ؟

واذا كان الخط البصرى يرسم على الورق وغيره من الادوات التى يكتب عليها فان الخط السمعى يرسم على الحروف . والكلمات .

ونقطة النهاية فى الخط السمعى تقع تارة على حرف صحيح وتكون احيانا اخرى حرف مـد .

وتكون نقطة النهاية تبعا لذلك تارة ، لها صورة منطوقة وذلك اذا وقعت على حرف صحيح من حروف الهجاء ، وتكون احيانا اخرى غير منطوقة اذا كانت مـدا ويسمى هذا المـد سكونا ميتـا ، واتسع فيه علماء القراءات ، وعلماء الموسيقى لان الحركة التى يكون المد نهايتها لها مسافات متفاوتة ياتى الحديث فيها فى غير هذا المبحث ، والمد لا صورة له فى النطق وليس له حد الساكن الحى ، بل هو امتداد للحركة فى انواعها الثلاثة ، وبما ان هذه الانواع الثلاثة لا تهمنا فى هذه الدراسة فاننا نقول ان المد هو امتداد طبيعى للحركة ، فالحركة لها صورتان :

آلاولى : الحركة الطبيعية وهى التى تقع على كامل الخط السمعى بين نقطتى البداية والنهاية .

وتكون نقطة البداية فيها مرسومة على أحد حرفين من حروف الهجاء .

أقول على أحد حرفين لان الحركة الواحدة لا ترسم الا على حرفين من حروف الهجاء ، الا الحركة الممدودة فانها ترسم على حرف واحد يضاف له احد حروف العلة الثلاثة فى الكتابة تعويضا للحرف الثانى الذى نرسمه للحركة الصحيحة .

وهذه صورة الحركة من حيث هى خط سمعى ، أو خط صوتى .

لان هذا الخط له فى الواقع جانبان : جانب المتكلم ، وجانب السامع .

فمتى اعتبرنا جانب المتكلم قلنا فى صفة هذا الخط . خط صوتى ، وخط سمعى لان المتكلم له صفتان : صفة المتحدث وصفة السامع ، وهو فاعل فى الحالين فاعل الصوت وفاعل الاستماع .

ومتى اعتبرنا السامع فانه لا يمكننا ان نسمى هذا الخط خطا صوتيا لان السامع لم يكن فى هذه فاعلا بالدرجة الاولى .

وبما ان الاستماع كان قدرا مشتركا بين المتكلم والسامع ، لذلك اخترنا ان نسمى هذا الخط خطا سمعيا .

واننا نرمز لهذا الخط السمعى بأحرف ثلاثة : الباء والسين والنون .

البـاء تشير الى نقطة البداية |———|
ب

النون تشير الى نقطة النهاية |———|
ن

السين تشير الى المسافة الواقعة بينهما |———|
س

فتكون صورة الخط : |———| = (ـ ٥)
ب س ن

ويتفرع هذا الخط السمعى الى صورتين أصليتين :

1) الى خـط : |———| = (ـ ٥)
ب س ن ص

×

2) والى خـط : |———| = (ـ ٥)
ب س نم

الخط الاول هو الذى يرسم على حرفين صحيحين .

والخط الثانى هو الذى يرسم على حرف ممدود ولهذا اخذنا الحرف الاول من كلمتى صحيح وممدود واشرنا بالصاد للصحيح وبالميم للممدود .

وهكذا تكون النون نونين (ن م) و (ن ص)

(ن م) تنتهى بحرف من حروف المد الثلاثة : الواو ـ الألف ـ الياء ·

ومثال خط (بسنم) با ـ بو ـ بى |――――――|
ب س نم

اما خط (بسنص) فانه الحركة التى تقع على حرفين صحيحين ويسمى النحاة السكون فى هذه الحركة سكونا حيا ·

وصورة الخط (بسنص) |――――――| ومثاله : لـم ـ كـم ـ بـل
ب س ن ص

و (قلـ) فى (قلب) ·

ويتولد عن هذين الخطين خط مقطوع ، ويثبت فى هذا الخط المقطوع (ب س) وتعوض (النون) بحرف (قاف) اشارة الى القطع ·

وهذه صورة الخط (بسق) |――――/――| |――――/――|
ب س ن ص ب س ن م
ق ق

وفى هذا الخط المقطوع نثبت نقطة البداية (ب) والواسطة (س) وهى التى تقع بين نقطتى البداية والنهاية ونحذف نقطة النهاية التى هى النون ·

وهذه هى عملية تحويل الخط (ب س ن ص)

(ب + س + ن ص) − ن ص = (بسق)

ثم عملية تحويل الخط (ب س ن م)

(ب + س + ن م) − ن م = (ب س ق)

والقاف لا يرمز لشىء بل هو علامة القطع · اذن فالقاف يشير الى نقطة مجهولة فى الخط السمعى توجد قبل (ن) التى هى نقطة النهاية ·

وبما ان هذه النقطة مجهولة ، فانه يمكننا إن نعتبر القاف نقطة اعتبارية ·

وكل الخطوط إلا (ن) متساوية فى المسافة الصوتية وهذه صورتها :
(ـ) (ـ)

وان اى خط سمعى : (ب + س + ن − ن) لا يمكن ان ينفرد فى الصوت بذاته ويتحتم الحاقه بخط طبيعى كامل ، اعنى بذلك أحد الخطين :

(ب + س + ن م) أو (ب + س + ن ص)

وعملية الجمع بين الخطين (ب س ن ص) و (ب س ن م) كالآتي :

(ب س ن ص) + (ب س ن م) = (ب س ن ص ب س نم)

اما عملية الجمع بين أحد هذين الخطين مع الخط (ب سق) فانه يتحتم جمع (بسق) الى أحد الخطين (بسنص) أو بصنم .

اما جمع (بسنص) أو (بسنم) الى (بسق) فان ذلك لا يمكن ان يكون فى لغة العرب إطلاقا .

ويسمى الخط المتالف من (بسق بسنم) أو (بسق بسنص) خطا مركبا الا انه لا يعدو ان يكون خطا سمعيا واحدا .

اما اللهجة التونسية وفى الشعر الشعبى فان (بسنص) و (بسنم) تجمع الى (بسق) .

وهذه صورة الجمع : (ب س ن ص) + (بسق) = (بسنص بسق)
و (ب س ن م) + (بسق) = (بسنم بسق)

وقد كنا اعطينا امثلة لذلك فى رسالتنا الماضية من امثال : كليــن ، قمــن على معنى أكلنا وقمنا فى لغة العرب .

ويأتى تفصيل هذه المصطلحات الحركية فى الرسالة القادمة .

عبد المجيــد بنجــدو

مطالعات

ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية

(القسم الثانى)

تاليف : حسن حسنى عبد الوهاب
عرض وتقديم : جعفر ماجد

منذ عامين نشرت مكتبة المنار الجزء الاول من كتاب (ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية) للعالم الجليل الشيخ حسن حسنى عبد الوهاب فتلقته الاوساط الثقافية بشغف ولهفة واكبروا فى المؤلف همته التى لا تنى وعزمه الذى لا يفتر وعلمه الذى لا ينضب وبقينا على موعد مع بقية الدراسات الممتعة والاحاديث اللذيذة عن قصة الحضارة والثقافة فى تونس وها هو العالم الجليل يتحف التراث التونسى بكنوزه المكنونة ويجلو عن شخصيتنا الاصيلة ما علاها من غبار النسيان والشك ، فقد ازدانت المكتبة التونسية منذ ايام بالجزء الثانى من ورقات الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الذى اخرجته مكتبة المنار مثل الجزء الاول فى مظهر جذاب فجاء مشتملا على خمس وسبعين واربعمائة صفحة من الحجم الكبير انيق الخط والصور وحدثنا الشيخ فى هذا الجزء عن سوسة الاغلبية وعن الموسيقى وآلات الطرب وعن جزيرة قوصرة العربية وعن لطائف النوادر وطرائف الملح ونبهنا فى تصدير الكتاب الى ان حديثه عن سوسة الاغلبية مقصور على الناحية التاريخية دون العمرانية وقال :

(وقد توسعنا عند ذكر المعالم بنقل الاحداث التاريخية او تراجم بعض الرجال الذين كان لهم صلة بتأسيسها قاصدين بذلك زيادة الافادة وارشاد القارىء من خلال اخبارهم الى جانب مهم من الحياة الاجتماعية ومظاهرها فى ذلك العصر على انا لم نتعرض فى مقالنا هذا الى ذكر المحارس والرباط التى كانت بالمنستير وهى اعظم معاقل افريقية لانا وضعنا بحثا خاصا بها فى غير هذا ، ينشر قريبا بحول الله تعالى) .

ولكن انى لقارىء الكتاب ان يرضى له بهذه الحدود التى رسمها له صاحبه فى تواضعه المعهود ، والكتاب نبع ثر تتدفق فيه شتى المعارف وتفيض على جوانبه العلوم صافية غزيرة فما زلت تتنقل من معالم سوسة الاثرية وتحيا فى عصور بنى الاغلب الزاهية حتى ترى قلم الشيخ يرسم لك الف طريق جديدة ، فتارة

الى القيروان ورقادة والعباسية وتارة الى الاندلس الاسلامية الزاهية وتـــارة اخرى الى الجزر الايطالية وجنوب اوروبا حيث تشع حضارة القيـروان على الغرب ولا اخالك الا ماخوذا بهذا الاسلوب الحى الذى يريك حياة الامس كانك تحياها فتعلم عن ادوات الكتابة فى افريقية وانتشار المصاحف وتنوع اساليب الخط ما يكفيك للالمام بالحياة الثقافية هناك ويعيد اليك ثقتـك بحضارتـــك واصالتك ومجدك ويغذى خيالك بالوان زاهية من الماضى الذى تخاله اندثر واذا به ينبض بالحياة كانه الحاضر فاذا بك فى سوق الوراقين بالقيروان ويرجـح ان يكون موقعها قرب جامع عقبة بن نافع وتدخل الى دكاكين الوراقيــــن وبيوتهم وتعلم من فنهم شيئا كثيرا ويعطيك المؤلف من ثمار خبرته ما لا يعرفه الا من باشر الكتب والاوراق وشغف بما فيها فحرص عليه وحماه من التلف فيقول :

(ولا نزاع ان الرق وهو الجلد المعد للكتابة والنسخ كان يكلف غاليا ولذلك ربما كتب فيه اولا ثم يمحى ويستعمل ثانيا وثالثا بعد ازالة ما رسم عليه من الكتابة فى أول مرة – وقد يكشف احيانا فى الرسوم الممحوة ، اذا قرئت على ما هو اهم بكثير مما رسم على الرق بعد الكشط وعثرت شخصيـا على قطعـة جليلة ما بين ضفتى الجلد المسفر به بعض الكتب العربية التى تقادم عهدها) ٠

ويحدثك عن صناعة الورق المقوى او الكرطون وحشو اوراقها بعضها ببعض وعن فكها وحل الصعوبة التى تعترضك فى هذا الفك ، واذا بك اثناء هـــذا الحديث تعرف نوع الحبر المستعمل والمواد التى كان يتركب منهـا ، ولعـــل المؤلف لم يقصد الى الكلام فى الحبر ولكنك لا تزال تلتقط من هنا وهنـــاك نفس اشاراته ما يغريك بالاستزادة فى لهفة قال عن فك الكرطون (فاذا ما حاول الانسان فك الاوراق المحشوة تعترضه صعوبة اللصاق فيجب عليه طرح التجليد فى ماء شديد الحرارة برهة من الزمان الى ان ينفسخ اللصاق وتنفصل كل ورقة على حالها فيحصل حينئذ المقصود ولا يخشى على الكتابة من الاندثار فى المصنفات القديمة القرن السادس وما قبله من القائها فى ماء حار اذ الحبر العربى القديم لا تمحوه الحرارة وذلك لمتانة المـواد التى يتـركب منها المـداد كالصمغ العربى والعفص والزاج وما الى ذلك وقد جربت نفس العملية مرتين ففازت بالنجاح) اليس هذا تحقيق العلماء وتجاربهم فى سبيل الوصول الى الحقيقة وكثيرا ما تستكشف فى صفحات عن الكتابة وادواتها او الخط وانواعه ما يكون اهم من الكتابة والادوات والخط وانواعه – فالمؤلف يحدثك حـديث العلماء فى كل موضوع يعالجه الا ان القارىء المتبصر لايخفى عنه ما فى اسلوبه من غزارة وما فى اشاراته من دقة وفائدة ففى حديث عن الرق مثلا تستوقفك

مجالس العلم فى القيروان وظروف التعلم فى تلك البيئة وما كان يعانيه طلاب المعرفة من العناء حتى كان طلب العلم اصبح من خصائص الطبقات الفقيرة فاذا ما اندس فى الحلقة غنى او امير فشبه بلباس الفقراء ويروى الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب حكاية طريفة (ومؤثرة) عن حضور ابى العرب التميمى احدى حلقات العلم وكان من ابناء الاسرة المالكة قال : اتيت يوما وانا حدث الى دار (محمد بن يحيى بن سلام) فرأيت عنده طلبة العلم (علم الحديث) ورايت امرا اعجبنى وركنت اليه نفسى فعاودت الموضع وكنت آتى اليه والطرطور على راسى ونعلي احمر فى رجلي فى زى ابناء الامراء وكان الطلبة ينقبضون منى من اجل ذلك الزى فقال لى رجل يوما بجوارى لا تتزى بهذا الزى فليس هو زى طلبة العلم واهله وزهدنى فى ذلك فرجعت الى امى وقلت لها : البسينى رداء وثيابا تشاكل لباس اهل العلم والتجار فابت على ، وقالت : انما تكون مثل آبائك واعمامك فاحتلت حتى اشتريت ثيابا وجعلتها عند صُباغ فى باب ابى الربيع احد ابواب القيروان ، فكنت اذا اتيت من القصر القديم (قصر الاغالبة خارج البلد) أتيت بذلك الزى الذى تحب امي ووالدى فـاذا وصلت الى بـاب الربيع ودخلت حانوت الصباغ خلعتها ولبست الثياب الاخر ، فكنت كلمـا ترددت فعلت ذلك فقال لى يوما رجل من اصحابى اراك تأتى هذا المجلس فتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئا مما تسمع يكون عندك دائما ما هذه حقيقة طالب العلم فقلت له: والدى راغب عن هذا وما مكننى من شىء اشترى به الرق فقال لى: أنا أعطيك جلدا تكتبه لنفسك وتكتب لى جلدا عوضا منه فرضيت له بذلك فكنت اكتب لنفسى ما شئت واكتب له فى جلوده ما يحب ، حتى يسر عز وجـل ما اشتريت به الرقوق وما قويت به على طلب العلم .

وهكذا نرى ان الجهاد فى سبيل العلم كان يستلذه حتى اغنياء القوم لانه اصبح من لوازم العلم .

اما الناحية الثقافية من هذا التاليف فلها وجهان اثنان اولا ، هذا الحديث عن مجالس الادب والعلم فى القيروان وسوسة وصقلية والاندلس واساليب التدريس وادوات الكتابة مما افاض فيه المؤلف الجليل وذكرنا قسطا منه ، ثانيا ما يمكن ان نسميه بـ« قسم أدبى » خالص تفرد به هذا الجزء من ورقات ليس موضوعه تاريخ البلاد وانما هو قطع متفرقة من كلام البلغاء والعلماء من ابناء افريقية ولا يخفى ما لهذا القسم من القيمة الادبية نظرا لطرافة اغراضـــه وبلاغة الفاظه ، وكان للشيخ الجليل فضل جمع هذه النوادر المتفرقة وهو من هو علما بمظانها وسبرا لاغوارها فكانها هدية منها الى قـرائه وهذا شان كل عالم اصيل، يكد ويجد ويلتذ بثمرة العمل الطويل الى الناس كما يرفع يده الى فيه وقديما قال الجاحظ : من التقط كتابا جامعا وبابا من امهات الكتب مجموعا له غنمه وعلى مؤلفه غرمه وكان له نفعه وعلى صاحبه كده ، مع تعرضه لمطاعن

البغاة ولاعتراض المنافسين ومع غرضه عقله المكدود على العقول الفارغة فهذا القسم الذى نعده تراثا ادبيا كان مغمورا مقتطفات من مطالعات الشيخ الكثيرة تجمعت له فلم يضن بها على غيره قال :

(كنت ايام الصبا ، فى اثناء مطالعتى لكتب التاريخ وتراجم الرجـــال وموسوعات الادب جمعت جملة وافرة من المواعظ الحكمية لاسلافنا الابـرار مشفوعة بنوادر لطيفة مقتبسة من سيرهم واخلاقهم اعتقادا منى ان ذلك هـــو الادب وعصارته الشهد واذا كان الادب نوعا من الكشف عن نفس الانســان وحقيقة الكون فلم يخف على العالم الجليل ما فى هذه الحكم والنوادر من قيمة أدبية بفضلها كما قال ـ يتعرف القارىء الى جانب من نفسية الامة وميولها فى مجالس وعظها والى طرائف احاديث نواديها ، وفعـلات اجوادهـــا وظـــريف فكاهاتها مما يصلح ان يكون مرآة صافية تنعكس فيها صورة من رقى حضارتها وبرهانا صادقا على رقة شعورها وجودة عواطفها ٠

وقديما راى المفكرون والفلاسفة ان الفكاهة معيار الحضارة والنكتة عنوان التهذيب والتمدن وما اجمل ان يرود الانسان هذا العالم المرح فيخرج منـــه اكثر ما يكون ايمانا بشخصية بلاده ورسوخ حضارته واصالـــة مجتمعــه فى التمدن ٠

الا ان هذه النوادر ليست كل حصيلة الشيخ فله قسم آخر لم ينشره وليته ينشر وقد قال بنفسه (ان جانبا كبيرا من كتابنا المعاصرين ينقلون عما ينشر باللغات الاعجمية من نوادر وحكايات فكاهية ربما لا يفهم مغزاها قراء العربية لبعد ذوقنا من مماثله الغربى بينما يوجد من هذا النوع فى مجاميع ادبنا ما لا يعد كثرة ولا يقل دعابة ورقة (غير انا فتنا بتقليد البعيد الغريب والزهد فى الميسور القريب) ، فهل تراه يفرط فى ما هو الصق بشخصيتنـــا واقـرب لاذواقنا وانفع لاصالتنا واقوم ، ومما تحسن الاشارة اليه ان بعض القراء الذين لم يسعفهم الحظ للوقوف على هذه النوادر فى مجاميعها قد يكونون طالعوا شيئا منها نشره الشيخ فى مجلة « الجامعة التونسية » بعنـــوان نقـل الحبيب الى الاديب ويقول جامعها انه جرى فيها على غرار صديقه اسعاف النشاشيبى الذى كان نشر تباعا فى مجلة الرسالة « المصرية جملة من النوادر العربية سماهـــا « نقل الحبيب » وقد استقى الاستاذ ح‍ح عبد الوهاب اخبار الظرفاء ومجالس اللهو من مخطوطات نادرة مثل قطب السرور لابراهيم الرقيق ومتعة الاسماع فى علم السماع للتفاشى الى جانب الامهات المشهورة وقسم هذا القسم الاخير الذى وقفنا عنده الى ثلاثة ابواب :

1) باب المواعظ ٠

2) لطائف النوادر ٠

3) طرائف الملح والفكاهة . وهاك امثلة حية ترى فيها مقدار ما بلغه ثقل المجالس من تصوير البيئة والكشف عن نفسية المجتمعات ، فقد حدثنا الكاتب ان زهاد القيروان كان لهم يوم في الاسبوع يتفرغون فيه للهو فيخرجون كل يوم سبت الى مكان قرب ضريح ابى زمعة لانهم لم يكونوا يستنكفون من الغناء خاصة في عهد ابراهيم الثاني اذ اصبحت رقادة موطن اللهو بينما بقيت القيروان مركز المحافظة على التقاليد الاسلامية فكانت الخمارات كثيرة برقادة وكان بيع الخمر محجرا في القيروان فقال احد الظرفاء موجها الخطاب الى الامير :

يا سيد الناس وابن سيدهم ومن اليه رقاب الناس منقاده
ما حرم الشرب في مدينتنا ؟ وهو حلال بارض رقاده

وها هو ابراهيم بن الاغلب الاكبر يفرط في الاحتراز ويريد ان يثبت براءته على يدى قاضيه عبد الله بن غانم في ذلك الوسط الذى كثر فيه اللهو لكن لم يمح فيه صلاح الصالحين قال المالكي :

كان **ابراهيم** بن الاغلب الاكبر يصلي بالجامع فخرج ليلة من الليالي **من دار الامارة** بالقيروان ـ وكانت ملاصقة لمسجد عقبة ، فدخل **الجامع** لصلاة العشاء الاخيرة وكان مشغول القلب فعثر في حصير فسقط **فلما صلى بالناس** وانصرف الى منزله بعث في طلب قاضيه ابن غانم **فلما اتاه الرسول** وقال له : الامير يدعوك تغير ابن غانم عند ذاك وقال : في مثل هذا **الوقت** يوجه ورائي ولم يجد بدا من ان قام اليه فلما دخل عليه قال الامير : يا أبا عبد الرحمن،إني لم أبعث إليك إلا لخير إني لما دخلت المسجد اشتغل قلبي عن حفظ نفسي فعثرت في حصير فسقطت ، فظننت بالناس انهم حسبوا انى منتبذ ، فاحببت ان تكون براءتي عندك ، فاستنكهني ، فاستنكهه القاضي ابن غانم ، فوجده بريئا فشكر له ذلك .

وانك واجد من النكات اللطيفة ما يدخل في باب الاقصوصات التي تجمع في نفس الوقت بين المتعة والفائدة فهذه اقصوصة طريفة نجد فيها لونا من عادات ظرفاء القيروان مما سمعنا بمثله حتى في ايامنا هذه ولا يمكن ان ننكر ما لهذه الاقصوصة من قيمة تاريخية واجتماعية مع ما لها من براعة النكتة .

كان ابو عقال غلبون في رقادة مشهورا بين صغار الامراء الاغالبة باللهو والخلاعة والمجون وقد بلغ به الاستهتار انه كان يتنكر فيتزى بلباس النساء فحضر يوما عرس بعض الامراء على الهيئة المشار اليها وبعد حين من جلوسه ضاعت درة نفيسة لبعض اهل الدار فامروا بغلق الابواب واخذوا يفتشون النساء الحاضرات الواحدة بعد الاخرى فكل امراة لم يجدوا عندها شيئا اخرجوها حكى ابو عقال عن نفسه قال : تمادوا في التفتيش حتى لم يبق الا

أنا وامرأة واحدة فصارت ترادفني وتريد ان تكون ورائي وانا ادفعها اليهم الى ان اخذوها فوجدوا الدرة عندها فقالوا لي : انصرفي يا هذه المرأة فما كنت اصدق بنجاتي حتى وصلت الى بيتي فأزلت عني الخف والمعجر والرداء التي كانت علي من زي النساء ومن ذلك الحين عقدت النية على التوبة وانبت الى الله ٠

وفي نهاية الكتاب يستجيب الاستاذ حح عبد الوهاب الى رغبة بعض ابنائه الروحيين فاتى بترجمة ثلاثة من مشاهير الكتاب التونسيين ٠

ابراهيم المشهور بالكاتب الرقيق

واحمد التيفاشي القفصي

وعلي الـــورداني

وهكذا يكون الجزء الثاني من « ورقات » حح عبد الوهاب مرجعا للمؤرخ والاديب ولبنة في صرح الثقافة التونسية وليته اخيرا ـ يرشد قراءه الى مراجعه في كل ما يحتاج فيه الباحث الى احالة وما ذلك عليه بعزيز ٠

جعفر ماجـــد

ملاحظات حول مذكرات الشابي

بقلم : نور الدين صمود

أصدرت الدار التونسية للنشر كتيبا ذا (89) صفحة من الحجم الصغير يحتوى على (مذكرات) أبى القاسم الشابى ٠

وقد عنت لى أثناء مطالعته مجموعة من الملاحظات :

أذكر أنى قرأت كثيرا من هذه المذكرات فى الجرائد والمجلات الادبية التونسية ، كما اذكر انى قرأت اكثر من مرة ان السيد ابراهيم بو رقعة يحتفظ بهذه (المذكرات) عنده منذ حياة الشابى ٠

ولما عدت الى كتاب (مع الشابى) لمحمد الحليوى وجدته يقول (ص 126) إن ثلاث (مذكرات) نشرت ـ فى السنة الأولى من مجلة (العالم الأدبى) عام 1930 اى قبل وفاة الشابى باربع سنوات ـ بالعناوين التالية : « أغنية الألم » و « صفحات دامية من حياة شاعر » و « أيها القلب » ٠ [وهذا يدل على أن الشابى لم يعتبر هذه المذكرات شخصية خاصة بل اعتبرها اثرا أدبيا كتبها للنشر ونشر فى حياته بعضا منها] ٠

ولما توفى أبو القاسم نشر السيد ابراهيم بو رقعة أربع مذكرات منها فى مجلة (مكارم الأخلاق) الصادرة فى صفاقس سنة 1355 هـ. ثم نشر مذكرتين فى جريدة (الأسبوع) سنة 1952 ٠ وخمس مذكرات (؟) فى مجلة (الفكر) سنتى 1959 ـ 1960 ٠

والكتيب الذى يضم مذكرات الشابى يحتوى على اثنتين وعشرين مذكرة تبدأ من 1 جانفى 1930 الى 6 فيفرى من نفس السنة فهو لم يكن يسجل مذكراته يوميا خلافا لما جاء فى صفحة 5 من المقدمة حيث قيل عن هذه المذكرات إنها « مذكرات قيدها الشاعر فى كلمات يوما بعد يوم » ٠

وجملة ما نشر من هذه المذكرات فى الجرائد والمجلات 14 مذكرة حسب الحليوى (مع الشابى ص 126) وأبو القاسم محمد كرو فى كتابه « آثار الشابى وصداه فى الشرق » (ص 27 ـ 28) وإذن فالكتيب يضم **8** مذكرات فقط لم تنشر من قبل ، من بينها مذكرة ذات أربعة أسطر ٠

ويقول الحليوى وكرو فى المرجعين السابقين ان المذكرات تبتدى بيوم 1 جانفى 1930 وتنتهى بيوم 12 فيفرى من نفس السنة ، بينما هى فى هذا الكتيب الذى بين ايدينا تنتهى بيوم 6 فيفرى ، فهل نفهم من هذا أن المذكرات

ناقصة ، ؟ خاصة والدار التونسية للنشر لم تشر الى مصدر المذكرات ، فهل أخذتها من ابراهيم بو رقعة الذى يقول عنه الاستاذ كرو : « ويحتفظ **بالنسخة الاصلية** لهذه اليوميات صديق الشابى الاستاذ ابراهيم بو رقعة الذى نشر جانبا منها ... » ؟ ام لم تستطع الدار التونسية للنشر الحصول على **النسخة الاصلية** منه فاكتفت بالمسودات من الورثة ، إن كانت لهذه المذكرات مسودات او نسخة أخرى ؟

على أى حال فقد كان على الدار التونسية للنشر ان تشير الى مصدر هذه المذكرات وان تنشر منها نموذجا بخط صاحبهـا فى أول الكتاب كما فعلت عند نشر ديوان الشابى ، وكما فعلت « دار المغرب العربى » لما نشرت رسائل الشابى . وهذا أمر هام لا يعزب عن المشرفين على هذه الدار .

بعد هذه الكلمة العامة أتناول بعض المذكرات او بعض فقرات منها بشىء من البحث والتحليل والمقارنة :

فى مذكرة بتاريخ « الاثنين 13 جانفى 1930 يقول الشـابى : « ذهبت أنا والأخ زين العابدين السنوسى والأخ مصطفى خـريف مساء اليوم الى النادى الأدبى لالقاء محاضرتى عن كتاب « الأدب العربى فى المغرب الأقصى » الذى طلب منى النادى أن ابسط لهم رأيى فيه . ولكننا لم نجد أحدا » .

وقد أثارت هذه الكلمة ـ التى دونها الشابى فى تلك المذكرة ـ كثيرا من الأدباء وأثرت فيهم أيما تأثير إذ أن الشابى ذهب ليلقى محاضرة فلم يجد أحدا فى النادى الأدبى ، وهو أمر مؤسف حقا . ولكن الشـابى نفسه يكتب بعد أسبوع واحد من كتابة تلك الكلمة قائلا ـ بتاريخ 20 جانفى 1930 » : « وهكذا كانت خاتمة العام الماضى محزنة كابية . ثم جاءت السنة الحالية فاقترح الأخ عثمان الكعاك ان تكون طريقة النادى إنما هى اثارة المواضيع لدراستها ومن كانت له دراسة عرضها على النادى لتلقى مسامرة عامة ايام الجمع . وقررت الأغلبية هذا ولكن لم يمض على هذا الاتفاق شهر ونصف قام **خـلالها** كل منى والأخ عثمان الكعاك بمحاضرة : واحدة منهما تعرضت لنقـد كتاب « الأدب العربى فى المغرب الاقصى » والاخرى تعرضت لطريقة البحث فى الثقافة الشرقية عند المستشرقين وعند المسلمين فى الوقت الحاضر . وقد اغضبت كل منهما طائفة من الناس » (ص 65) .

واذن فالشابى قد ألقى هذه المحاضرة حول كتاب « الأدب العربى فى المغرب الأقصى » وقد اغضبت هذه المحاضرة طائفة من الناس على حد تعبيره ... ومتى وقع ذلك ؟ ـ بعد اسبوع واحد من قوله انه ذهب مع السنوسى وخريف الى النادى الأدبى فلم **نجد أحدا** هناك !

فهل ألقى الشابى حقا هذه المحاضرة ام لا ؟ واذا كان ألقاها فمتى تم ذلك ؟ وكيف اغضبت طائفة من الناس ؟ ولماذا لم يشر فى مذكرة أخرى الى أنه ألقى هذه المحاضرة ان كان **قد ألقاها** ؟

وأترك هاتين الجملتين المتناقضتين وانتقل الى مذكرة اخرى بتاريخ « الثلاثاء 21 جانفى 1930 » يعلق فيها على رسالة وصلته من صديقه محمد الحليوى ... « وقد أرفقها بمقال كتبه فى انتقاد بعض الآراء التى وردت فى كتاب « الخيال الشعرى عند العرب » وقد فوض الحليوى الى الشابى أمر نشرها او اهمالها لأنه كان حريصا « على مودة يشفق أن تذروها عواصف النقد » .

وقد نقل الشابى فقرة من تلك الرسالة وعلق عليها ، ولكننا إذا رجعنا إلى الفقرة فى كتاب « رسائل الشابى » الذى نشره الحليوى ، أدركنا ان أبا القاسم لم ينسخ تلك الفقرة نسخا امينا حرفيا بل بدل وغير وحور وزاد فيها أيضا ... والى القارىء تلك الفقرة كما جاءت فى « رسائل الشابى » (ص 41) :

وعلى كل فها انذا فوضت امرها اليك فما شئت فاصنع بها .

لو تدرى يا خى كم تنازعت مع نفسى فى شأن هذا النقد لعذرتنى عن التأخير والتوانى فى إتمامه حتى اليوم . فقد كنت حريصا جد الحرص على صداقتك ضنينا بها ضن البخيل بماله وكنت أخاف أن تصدر منى كلمة أو رأى يكون سببا فى سوء التفاهم بيننا ذلك أن شيطان النقد كثيرا ما زرع بذور الشقاق بين الأحباء .

فبربك دعنى – أيها الأخ – اتمتع بصداقتك وأنعم بودك ودعنى أعجب بأدبك عن بعد دون ان ندخل جمهور القراء فى ما بيننا واقنع منى بأن أكون شريكك فى جل آرائك ولا تلمنى اذا رأيتنى أعدل فى آخر وقت عن الكلمة الثانية التى وعدت بها فى آخر المقال »

ولكننا إذا قارناها بما هو مثبت فى (مذكرات) الشابى وجدنا تبديلا وتغييرا فى كثير من الكلمات ، ويستطيع القارىء ان يتبين ذلك بالمقارنة والرجوع الى الفقرة فى كلا الكتابين فقوله : « فها أنذا » صارت : « فها أنا » و « ما شئت فاصنع بها » صارت : « فما شئت فعلت بها » و « هذا النقد » صارت : « هذا الانتقاد » و « ضن البخيل بماله » صارت : « ضن البخيل بالدينار » و « أخاف ان تصدر منى » صارت : « ... أن تبدو منى ... » و « ذلك أن شيطان النقد كثيرا ما زرع بذور الشقاق بين الأحباء » تحولت الى : « ... لأن شيطان النقد لا وظيفة له فى الدنيا الا زرع بذور الشقاق بين الأحباء » وأضاف الشابى هذه الجملة من عنده دون ان يكون لها وجود فى الرسالة : « وأنا من الذين يحرمون هذا النوع من النقد بين الاصدقاء المتحابين » كما تحولت كلمة « وأنعم بودك » الى : « واتبادل ودك » و « واقنع منى بأن أكون شريكك ... » الى « واقنع منى بأنى شريكك » . وهذا الذى نجده فى هذه الفقرة من اختلاف إما أن يكون ناتجا عن سهو من الشابى وعدم اعتناء بدقة النقل أو ان يكون ناتجا عن تعديل من الحليوى فى رسالته ، واذا صح ذلك فاننا نستطيع ان نقول إن الحليوى قد عدل جميع أو جل رسائله

التى أرسل بها الى الشابى ، ولكن هذا حدس لا يـرقى الى مـرتبة اليقين .
ولست أدرى - بالمناسبة لماذا لم يجب الشابى على هذه الرسالة التى وجهها له الحليوى ، إذ لم يكاتب الحليوى إلا فى مارس بعد رسالة اخرى منه بتاريخ 21 فيفرى « اى بعد شهرين من رسالته السابقة » . والحال ان هذه المذكرة التى نحن بصددها تكاد تكون ردا على رسالة الحليوى تلك .

والشابى الذى ذهب فى العاشرة من صباح ذلك اليوم الى ادارة البريد واستلم رسالة محمد الحليوى بعد دفع معلوم عنها لأنها اثقل مما ينبغى ان تكون (ص 67) وقرأ الرسالة والمقال الذى ارسله الحليوى مع الرسالة حول « الخيال الشعرى عند العرب » ذلك المقال الذى يتكون من 13 صفحة « آنظر كتاب مع الشابى من صفحة 6 الى صفحة 18 » ... ولا شك أن الشابى قرأ المقال أكثر من مرة لأنه يتناول كتابه بالنقد والتحليل ... اقول بعد كل هذا - أو قبل كل هذا - لست ادرى - كتب الشابى قصيدة من اشهر قصائده هى : « النبى المجهول » فهى فى الديوان (ص 153) مكتوبة بنفس التاريخ الذى كتبت فيه تلك المذكرة ، والغريب أنه لا يوجد فى حوادث ذلك اليوم ما يوحى بأن الشابى يمكن ان يكتب تلك القصيدة الثائرة . ثم إنه لم يشر فى تلك المذكرة الى أنه كتب تلك القصيدة فهل لم يعطها أهمية ؟ ، أم هل نشك فى صحة تاريخ القصيدة ؟

وفى اعتقادى أن الشابى لم يكتب قصيدة « النبى المجهول » فى يوم واحد بل بدأها أو أنهاها فى ذلك اليوم ، وهذا وجه تاريخها بذلك **التاريخ** .

* * *

والملاحظ فى هذه المذكرات أن الشابى يستعمل التاريخ الميلادى فى حين أنه فى « رسائله » الى الحليوى باستثناء الرسائل الأخيرة - وفى ديوانه يستعمل التاريخ الهجرى ، وهذه مسألة تجدر ملاحظتها .

وملاحظاتى حول هذه (المذكرات) كثيرة اخشى ان آتى على صبركم قبل أن آتى عليها . لذلك سأكتفى فى النهاية بملاحظة حول صورة الغلاف التى رسمها حاتم المكى ، ولست ادرى لماذا اختارت « الدار التونسية للنشر » هذا الرسام ليضع لها رسوم كتب الشابى ولم تشرك غيره فى هذا العمل ؟ . ففى ديوان الشابى رسمان له بالاضافة الى رسم الشاعر .

وألاحظ أيضا على صفحة الغلاف التى رسمها حاتم المكى وجود هذا التاريخ « جانفى 24 الثلاثاء 1930 » وهذا التركيب غير صحيح . اذ يجب ان يكون هكذا : « الثلاثاء 24 جانفى 1930 » واذا بحثنا فى هذه المذكرات عن يومية بهذا التاريخ لم نجد الا مذكرة بتاريخ « الثلاثاء 21 جانفى 1930 » . ثم ان يوم 24

جانفى لا يكون يوم ثلاثاء بل يكون يوم جمعة ، فلماذا هذا الاهمال من الرسام أو من المشرفين على طبع المذكرات ؟

و (مذكرات) الشــابى بعد كل هذا ـ ورغم كل هذا ـ جديرة بدراسة تتناول المحتوى وتبحث المضمون فأرجو أن تتاح لى الفرصة لاتناولها من هذه الناحية ، إذ أن هذه المذكرات تكشف عن بعض جوانب من أدب الشابى وتنير بعض الطريق أمام دارسى أدبه ٠

نور الـدين صمـود

◆ نذكر القراء الكرام بان ما ينشر « بالفكــر » لا يلــزم ألا صــاحبه وان الافتتــاحية هى التى تعبــر ـ وحــدهــا ـ عن رأى أســرة المجلــة ٠

أضواء الفكر

◆ هـل تحـل أزمـة التوزيـع :

أشرف السيد كاتب الدولة للثقافة والاخبار يوم الاثنين 23 جانفي المنصرم على جلسة عمل خصصت لدراسة مشاكل توزيع الكتب والمنشورات التونسية داخل البلاد وخارجها • وقد حضر هذه الجلسة كل من السادة محمـد مـزالي مدير مجلة **الفكـر** والحبيب بلخوجة مدير دار النشر التونسية وعزوز الرباعي مدير شركة التوزيع التونسية ومحمـد العـربي عبد الـرزاق مـدير مجلتي **الشباب** و **عرفان** والسيد حمادى النيفر الملحق بديوان السيد كاتب الدولة•

وقد اتخذت اثناء هذه الجلسة مقـررات هـامة في ميـدان ترويـج الكتب والمجلات والصحف التونسية في كامل انحاء الجمهورية بواسطة تعميم مراكز البيع والعرض سواء في محطات الارتال أو عن طريق الوحدات التجارية أو في النزل والمدارس وغيرها •

كما تقرر تسخير وسائل الاشهار بجميع انواعها (صحـف ـ سينمـا ـ تلفـزة الخ •••) في سبيل هذا الغرض •

اما بالنسبة الى ترويج انتاجنا في الخارج فان كتابة الدولة للثقافة والاخبار قد تكفلت بدفع منح تشجيعية ذات بال لشركة التوزيع التونسية تمكنها من ان تضمن للمتعهدين ببيع الكتب والمجلات والصحف التونسية بالخارج ارباحا تتجاوز أحيانا الخمسين بالمائة من الثمن الكامل •

ونحن نبارك هذه المقررات ونؤمن بانها كفيلة بان تمكن انتاجنا التونسي من الرواج في الاسواق الخارجية ومن فرض نفسه بين انتاج البلاد الاخرى •

◆ « الفكـر » ومجلة « المنهـل » :

نبهتنا جريدة العمل في صفحتها « أدب وثقافة » التي يشرف عليها الاستاذ محمد العروسي المطوى الى أن مجلـة « المنهـل » الصادرة بالسعودية خصت « الفكر » بجزء من مقال كتبه الاستاذ عثمان الصالح تحت عنوان « كنت في لندن » • ونظرا لما يشغل بال المثقفين في تونس من رغبة في التعريف بالأدب التونسي والتعرف الى نواحي النشاط الثقافي بالبلاد العربية أحببنـا إطلاع القراء الكرام من خلال ما كتبه الشيخ عثمان الصالح على أن في السعودية من يتشوف الى الكشف عن نتاج العقول التونسية ومن يجد في شعرها ونثرها الغذاء الذى يستطاب • فبعد أن عبر الأستاذ عن تشوقه الى قراءة المجلات العربية وهو في لندن وعن أساه لما حوته بعض المجلات العربية من غث الأدب قال عن الفكر :

« ولكني وجدت مجلة جميلة تسمى « الفكر » تصدر في تونس ••• فيها من الدسامة في المادة والتحدث عن تونس البلد الشقيق ما ملأ الفراغ وشرح الصدر وسر النفس ••• إنها مجلة غنية بالأدب الرفيع والأقلام الحية التى تعطينا فكرة صادقة عن الأدب في بلد عربي ••• وأحد هذه الأعداد من المجلة

خاص عن الاسلام فى عصرنا ••• لقد قرأت هذه الأعداد الثلاثة من الغلاف الى الغلاف ومع أننى لست بشاعر ولكنى وجدت فى هذه المجلات شعرا حيا ووجدت شعراء تنبض شاعريتهم بالحيوية وتوحى معانيهم التى يطرقونها بأن فى تونس معينا عذبا من الشعر الأدبى الرائع » •

ويورد الكاتب قصائد للشعراء محمد مزهود القيرواني والهادى نعمان ومنور صمادح ويعلق عليها بروح أدبية خالصة وينهى استعراضه بقوله :

« ولا أريد أن أطيل فى كلمتى هذه ، فالجيد المختار نثرا وشعرا فى هذه الأعداد الثلاثة كثير ••• ولكننى اقتضبت وقدمت الدليل ، ولا تتسع صفحات المجلة « المنهل » للمدلل عليه ـ بفتح اللام ـ وشاقنى أن أتلو قصيدتين للشاعرين المبدعين حسن عبد الله القرشي ومقبل العيسى لقد كانا واسطة عقد بين أدباء تونس ••• ليت كثيرا من شعرائنا زار تونس وتحدث الى أدبائها وشارك فى الادلاء ، فى الكتابة فى صحفهم ومجلاتهم ••• وكلمة أخيرة : أهيب بوزارة الاعلام وجهازها مشحون بالأدباء أمثال غالب أبو الفرج وعلى رأسها معالى الأستاذ الأديب جميل حجيلان أن يكون بيننا وبين تونس تبادل ثقافى • وأن يعمل على مبادلة الصحف بيننا وبينها ، ونكلف كل مؤسساتنا أن تهدى لكل صحيفة ومجلة ما يصدر منها وتلك بالمثل » •

فهل بعد هذا ما يمنعنا من تعزيز التبادل فى ميدان الثقافة ؟

◆ **مجلة « قصص » :**

وافانا والمجلة تحت الطبع العدد الثانى من مجلة « قصص » التى يصدرها نادى القصة وتسهر على طبعها الدار التونسية للنشر • وقد جاء هذا العدد فى ما يقرب من 130 صفحة ويحتوى ـ علاوة على المقدمة واستعراض أهم ما قالته الصحف والمجلات من العدد الأول ـ على القصص والبحوث التالية :

- فصل من رواية « أرجوان » لمحمد المختار جنات •
- فصل من قصة « المحكوم عليه » لعبد المجيد عطية •
- « القصة التونسية بين الحربين 1914 ـ 1940 » لمحمد الصالح الجابرى •
- « رجل متعب » لحسن نصر •
- « سقيا يا مطر » (الفصل الثانى) لعز الدين المدنى •
- « من أيام عثمان » (يوم العجاج) للطيب العشاش •
- « عيناك والنهر » لأحمد الهرقام •
- « الساحرة التونسية » للصادق الرزقى •
- « عندما يأتى الفجر » ليحيى محمد •
- « ورقة اليانصيب » ترجمة : لعمر النين •
- « باب البحر » لعبد الواحد إبراهم •
- « الأزرق والأحمر والأخضر » لجلول عزونة •
- « شمس مقبلة » لسمير العيادى •

• **محاضرات فى نوادى الشعب الدستورية والمنظمات القومية واللجان الثقافية:**

القيت خلال سنة 1966 اوائل سنة 1967 محاضرات فى نوادى الشعب الدستورية والمنظمات القومية واللجان الثقافية عالجت عددا من المشاكل وقام اصحابها احيانا بدراسة بعض المواضيع الاجتماعية والادبية دراسات كانت منطلقا لبحوث جديدة ٠

وقد رأينا التذكير بعناوينها لعلها تكون مادة للنشر وحافزا على زيادة النظر ٠ ومن بين هذه المحاضرات نذكر :

- محاضرة للاستاذ احمد خالد بعنوان « من خير الدين باشا الى الحبيب بورقيبة » ٠
- « دراسة فى قضايا الشعر المعاصر » قام بها الاستاذان البشير العريبى ومحسن بن حميدة ٠
- « تاريخ الحركة الوطنية » للاستاذ محمد السنوسى ٠
- « أبو القاسم الشابى » للاستاذ المنجى الشملى ٠
- « الحضارة البونيقية العتيقة » للدكتور محمد فنتر ٠
- « خواطر فى الالتزام » للاستاذ محمد مزالى ٠
- « اليوم العالمى للصحة » للاستاذ عبد الوهاب بو حديبة ٠
- « فلسفة الحزب الاشتراكى الدستورى » للاستاذ محمد السنوسى ٠
- « التجدد فى الادب » للاستاذ المنجى الشملى ٠
- « أدباء الربع الاول من القرن العشرين » للاستاذ احمد خالد ٠
- « أدب المقامة بين التقليد والتجديد » للاستاذ محمد فرج الشاذلى ٠
- « أدب الحب عند العرب » للدكتور صلاح الدين المنجد ، الحب عند الجاحظ وعبد الله ابن المعتز وأبى داود الظاهرى ، الحب عند ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة ، وابن الجوزى فى كتاب ذم الهوى وابن قيم الجوزية فى روضة المحبين واخبار النساء ٠
- « المخطوطات العربية » للدكتور صلاح الدين المنجد ٠
- « حياة المسرح ومسرح الحياة » للاستاذ محجوب بن ميلاد ٠
- « فن الصحافة » للاستاذ البشير بن سلامة ٠
- « تاريخ افريقية » للاستاذ الشاذلى النيفر ٠
- « مضلع النجوم » للاستاذ الطاهر قيقة وهى محاضرة تحدث فيها عن الكاتب الجزائرى كاتب (يس) ٠
- « ابن خلدون العالم الاجتماعى » للاستاذ محمد الطالبى ٠
- « الملحمة فى الشعر الشعبى » للاستاذ محمد المرزوقى ٠

◆ **الشعـــر بصفـــاقـس :**

لقد كان للشعر نصيبه فى الاحتفاء بزيارة فخـامة الـرئيس المفدى لمدينة صفاقس ، وكانت مناسبة الاحتفال بذكرى مؤتمر صفاقس أثارت فى نفـوس الشعراء الذكريات فشارك منهم فى تخليد هذه الذكرى عدد من غير أبناء عاصمة الجنوب وفى مقدمتهم الشاعران المعروفان الاستاذ مفدى زكرياء والاستاذ محمد ابن إبراهيم بن حميدة فى نطاق الشعر الفصيح بالاضافة الى الشعراء الجهويين الاساتذة محمد الشعبونى وعبد العزيز طريفة ورضا عبيد ٠

وقد التأمت عدة حلقات أثناء إقامة فخامة الرئيس بصفاقس رحب فيها الشعر الفصيح بمقدم فخامته على لسان الاساتذة أحمـد بلغيث ومحمـد الشعبـونى وعبد العزيز طريفة ، وقد تأثر فخامة الرئيس لهذا الاحتفاء ، وعبر عن ارتياحه لمستوى أغلب القصائد التى ألقيت بين يديه ٠

وقد شارك فى هذه اللقاءات عدد من الشعراء الشعبيين فى النطاقين القومى والمحلى بقصائد قيمة من بينهم السادة : الجيلانى الوحيشى ، وحسن محنوش ، ومحمد الغضبان ، ومحمد الناجى بن سلطانة ٠

◆ **محـاضرة عـن (ابـن هـانى) :**

ألقى الاستاذ أبو القاسم كـرو محاضرة عن (ابن هانى) بمدينة صفاقس مساء الاثنين 5 ديسمبر 1966 بقاعة المحاضرات البلدية حضرها عدد من الشباب ورجال الفكر بالجهة ٠

◆ **تكـريم صـاحب (تاريـخ صفـاقس) :**

كرمت اللجنة الثقافية الاستاذ أبا بكر عبد الكافى صاحب (تاريخ صفاقس) فى جمهرة من رجال الادب والفكر وذلك مساء السبت 10 ديسمبر 1966 ٠

وشارك فى هذا التكريم كل من السادة : عبد العـزيز عشيش ، محسـن الحبيب ، محمد الشعبونى (شعر) ، عبد العزيز طـريفة (شعر) ، أبو بكـر عبد الكافى (مؤلف الكتاب) ٠ وقدمت اللجنة هدية رمزية الى المؤلف راجيـة من جميع المنتجين النسج على منوال صاحب تاريخ صفاقس ٠

◆ **المسابقة الأدبية السنوية للجنة التنسيق بالقيروان :**

نظمت لجنة التنسيق الحزبى بالقيروان مسابقة أدبيـة وردت تفاصيلها فى منشور ننشره حثا للأدباء فى المشاركة ٠

« وفقا لارادة فخامة الرئيس « الحبيب بورقيبة » فى تشجيع الانتاج الأدبى ، وايمانا من القيروان ـ ماضيا وحاضرا ـ بالفكر فى كل مجالاته الخلاقة ٠ تنظم لجنة التنسيق الحزبى مسابقتها الادبية القومية لسنة « 1966 ـ 1967 » وتشمل :

أولا _ **بحثا يتناول أحد المواضيع التالية :**

1) سحنـون _ حيـاته _ آثـاره ٠
2) ابن شـرف _ حيـاته _ آثـاره ٠
3) شعراء القيروان فى العصر الفاطمى وموقفهم م نالصراع المذهبى ٠

قيمـة الجـائزة : 600 دينـارا

الشـــروط :

1) أن تتوفر فى البحث شروط البحث العلمي الموضوعى ٠
2) لم ينشر ولم يذع ولم يقدم لمسابقة سابقة ٠

ثانيا _ **مجموعة من الشعر التقليدى أو الحديث أو مزيج منهما :**

قيمـة الجـائزة : 300 دينـارا

الشـــروط :

1) تضم المجموعة 30 قصيدا دون تحديد لمواضيعها ٠
2) لا تكون المجموعة قد نشرت مجموعة فى ديوان ٠

ثالثا _ **مسرحية تجوز كتابتها بالفصحى أو بالعامية التونسية المهذبة :**

قيمـة الجـائزة : 300 دينـارا

الشـــروط : لم تنشر المسرحية من قبل ولم تذع ولم تمثـل ولم تقـدم لمسابقة سابقة (دون تحديد للموضوع) ٠

رابعا _ **قصة طويلة يكون سردها بالفصحى ويجوز أن يكون الحوار بالعامية :**

قيمـة الجـائزة : 300 دينـارا

الشـــروط : لم تنشر ولم تذع ولم تقدم لمسابقة سابقة ٠

الشـــروط العـــامـة :

1) تبتدىء المسابقة من غرة ماى 1966 الى 31 اكتوبر 1967 ٠
2) توجه نسخ الانتاج فى ثلاثة نظائر مكتوبة على وجه واحـد وعلى الآلـة الراقنة بعنوان : **لجنة التنسيق الحزبى _ القيروان _**
3) يرسل كل مشارك انتاجه تحت اسم مستعار ومع الانتاج ظرف به الاسم المستعار والاسم الحقيقى ولا يفتح الظروف الا بعد النظر فى الانتاج ٠
4) لا ترد اللجنة ما يصلها من انتاج ناجح وغيره ٠
5) تعد اللجنة بالمساعدة على طبع ما يمكنها طبعه من انتـاج المسـابقة مع الملاحظة أن الناجحين وغيرهم أحـرار فى استثمـار انتـاجهم حسبما يبدو لهم ٠
6) **لجنـة التحكيـم :**
   1) لا يقع الاعلان عن أسماء أعضاء اللجنة الا عند الاعلان عن النتائج ٠
   2) تعلن النتائج النهائية عن طريق الاذاعة والصحافة ٠
7) تقدم الجوائز فى حفل أدبى ينتظم بالقيروان » ٠

♦ قصص الأطفال :

أصدرت الشركة التونسية للتوزيع مجموعة من قصص الأطفال فى طبع أنيق خلاب • وهى سنة طيبة تسد فراغا بالنسبة لأدب الأطفال وتمكن صغارنا من أن يقرؤوا القصص الشيقة الممتعة باللغة العربية الفصيحة السهلة الجيدة • ولا يخفى أن أدب الأطفال صعب المراس يتطلب خبرة ودراية وتجربة طويلة تجعلنا نشكر للسادة البشير عطية وعبد الحميد القسنطينى وراضية بلخوجة سعيهم وإقدامهم على طرق هذا الباب •

وتشتمل هذه المجموعة على العناوين الآتية :

- « الأميرة عطاف » و « النمر والسلحفاة » لراضية بلخوجة •
- « ضياء القمر » و « طرزان وشيطا » و « قاهر الذئاب » للبشير عطية •
- « الملك والعصفور » لعبد الحميد القسنطينى

♦ الشاعر على الرقيعى فى ذمة الله :

انتقل الى رحمة الله ، اثر حادث سيارة مرور بطريق سيدى المصرى الشاعر الليبى الشاب الأديب الاستاذ على محمد الرقيعى صاحب ديوانى : « الحنين الظامىء » و « اشواق صغيرة » •

♦ مقدمة للأدب العربى :

صدر مؤخرا المجلد الاول من « مجموعة اليونسكو الجديدة المقدمة للاداب الشرقية » ، وقد نشر هذا المجلد بعنوان « مقدمة للأدب العربى » لجاستون فييت ، عضو المعهد وأستاذ شرف بكلية فرنسا •

وهذا المؤلف الذى يتميز بتبسيطاته والموجه الى الجمهور العام ينقسم الى أحد عشر فصلا تستعرض العهود الكبيرة التى عرفها الأدب العربى منذ القدم حتى العهد الحاضر ، وهى : العهد القديم الوثنى ، وتكوين الامبراطورية العربية ، والعصر الذهبى فى عهد الخلفاء العباسيين ، وتمزق امبراطورية الخلفاء ، والحقبة من العهد المناوىء للشيعة حتى أيام استيلاء المنغول على بغداد ، والعهد الغربى من القرن الحادى عشر الى القرن الثالث عشر ، والعصر الحديث (من القرن الثالث عشر الى القرن الثامن عشر) ، والنهضة العربية (من القرن التاسع عشر الى مطلع القرن العشرين) وعهد ما بين الحربين ، والاتجاهات المعاصرة ، والعربية الفصحى واللهجات الشعبية •

• الشاعر الشاذلي عطاء الله والقيروان :

عندما قرأ الأستاذ محمود خروف القاطن بصفاقس قصيدتي جعفر ماجد ومحمد مزهود اللتين تحثان فيها الشاعر الشاذلي عطاء الله عن البقاء في القيروان وتعبران له عن عواطفهما نحوه ، تأثر وبعث الى الشاعر برسالة يطمئنه فيها فرد اليه الشاذلي عطاء الله متأثرا لعواطف الأصدقاء والخلان • وقد أحببنا نشر هذا الرد مع الملاحظة أن القارىء الكريم يجد بين طيات هذا العدد قصيدتين للشاعر عطاء الله موجهتين الى جعفر ماجد ومحمد مزهود •

« الى حضرة الأخ الكريم بقية الأوفياء • وخلاصة النخبة صديقي محمود

تحية طيبة

أما بعد فقد اتصلت برسالتك القيمة وكلمتك الطيبة التى اظهرتني مرة اخرى على صداقتك النبيلة وعواطفك الصادقة واخوتك التى لم يزدها تقادم العهد الا صفاء ورسوخا • واني لجد فخور بهذه الصلات التى لم ترث وهذه العهود الاكيدة التى لم يات عليها البلى ولم تزدد مع الايام الا جدة وقوة ونماء •

أخي : لقد كانت حالة نفسية ، وثورة عاطفية ولحظة من لحظات الضيق والحرج والتبرم هذه التى تعرض لها اخوك والتى لم تلبث طويلا حتى عاود النفس اشراقها ورجع لها اطمئنانها وتمثل لها واقعها وحظها الذى تغبط عليه ، والمتمثل فى هذه العواطف النبيلة التى اطلت عليها وغمرتها من كل ناحية واعرب عنها كل صديق فنسل الاوفياء من كل حدب وصوت يستطلعون الجلية ويتجلون البادرة وعبر من اعرف وحتى من لا اعرف عن الالم لهذا الهم والجزع فى هذا التحول المبيت ولقد حمدت لهذه الفرصة التى سنحت حتى هيأت وسيلة الانتعاش وبعثت فى نفسي آمالا ادركها الذبول ونال مني الجفاف وغمرتني موجة من الرجاء تدفقت من حولي ثم تغلغلت فى سويدائي فغيرت نظرتي للحياة وجعلتني اكثر وثوقا واعمق اطمئنانا •

وهزات من هذا النوع يا صديقي ليست بمفيدة وحسب بل هى ضرورية للنفوس التى طال عليها امد الركود وبعد عهدها بالتنقل والتطلع والحركة وما يرتجى من حياة امرىء كماء على سبخة راكد واني مدين لهذه النخبة الكريمة التى هزت نفسي هذه الهزة العنيفة المنعشة وكرمتني هذا الاكرام الذى كان لي لسان صدق انابه جد فخور ورسالة الاخ توجت هذا التكريم ولم تبق فى نفسي بقية من تردد ولا اثرا لراى شتيت •

ولقد اجبت الشاعرين مزهود وماجد بقصيدين ربما سمحت الظروف لنا بلقاء فاتلوهما عليك •

وبعد فاني اغتنمها فرصة لارفع اليك اطيب التمنيات واخلص التهاني بعيد الفطر المبارك ضارعا الى الحق تعالى ان يسلك فى عداد الذين تقبل الله عنهم احسن ما عملوا وجزاهم بصدقهم بما جزى به المخلصين وان يعيده عليك وعلى اولئك الذين تصلك بهم آصر مودة ووشيجة من قرابة ورابطة من عهد وود باليمن والسعادة وتحقيق الآمال •

وتقبل تحية أخيك

الشاذلي عطاء الله فى 19 رمضان 1386 »

◆ اكتشاف رسالة جديدة لابن المقفع :

جاء فى مقال نشر بجريدة الدعوة السعودية فى صفحة أدب وثقافة الصادرة بتاريخ 26 ديسمبر 1966 ما يلى :

« استاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران (لم تذكر الجريدة اسمه) يكشف لنا النقاب عن اثر أدبى لابن المقفع ضاع اصله العربى وبقيت ترجمته الفارسية ، قال الدكتور البحاثة :

« ٠٠ قلما اطلع قارىء عربى على رسالة لابن المقفع بعنوان ـ الادب الوجيز للولد الصغير ـ فقد شاءت الايام ان يفقد الاصل العربى لهذه الرسالة ، ولم يبق منه الا النص الفارسى المترجم الذى يعد من روائع النثر الفارسى فى القرن السابع الهجرى ٠٠

وانى حينما كنت اتتبع كتب اراء الادباء العرب حول آثار ابن المقفع سواء تلك الاثار التى لا يتطرق الشك الى نسبتها لابن المقفع او تلك التى لا تزال مثار النقاش والتحقيق بين الباحثين ، لم اجد احدا منهم يشير لا من قريب ولا من بعيد الى هذه الرسالة التى نحن بصدد تعريفها ، وكذلك الحال بالنسبة للمستشرقين الا المستشرق الالمانى ـ بروكلمان ـ حيث اشار الى هذه الرسالة عند الحديث عن آثار ابن المقفع فى كتابه ـ تاريخ الادب العربى ـ دون ان يحقق صحة نسبة اصلها العربى اليه ٠ ولعل السبب يعود الى ان النص العربى للرسالة ، كما ذكرت آنفا ، قد ضاع ، فلم يقف عليه احد من الباحثين العرب ، رغم تتابع دراستهم وتعدد بحوثهم التى نشرت حول آثار ابن المقفع طوال النصف الاول من هذا القرن ٠ ومن ثم رأيت ان اقدم عرضا موجزا لهذا الاثر الذى يعد احد ثمار التفاعل بين اللغتين العربية والفارسية ، اذ لطالما يتهافت الى دراسة آثار ابن المقفع رواد الادب العربى عامة وعشاق ادب المقفع خاصة ٠

نقل هذه الرسالة الى الفارسية احد اعلام الفرس ، الفيلسوف الكبير الشيخ نصير الدين الطوسى فى مستهل القرن السابع الهجرى وذلك باشارة احد زعماء الفرقة الاسماعيلية ابى منصور ناصر الدين عبد الرحيم حاكم فهستان فى تلك الحقبة من التاريخ ويعتبر اسلوب الطوسى فى الترجمة امتدادا ومحاكاة لاسلوب أبى المعالى نصر الله فى كتابه ـ كليلة ودمنة البهرا مشاهى ـ اذ ان كلا منهما تجاوز النص العربى المترجم عنه ، وضمنه آيات وأحاديث وامثالا واشعارا فارسية وعربية وذلك حسب ما كان يقتضيه اسلوب النثر الفنى الفارسى فى ذلك العصر ، وظلت هذه الترجمة مخطوطة حتى نشرها لاول مرة فى طهران عام 1352 هجرية المرحوم عبد الرحيم الخلخالى وطلب الى المرحوم الاستاذ عباس اقبال ، استاذ التاريخ والادب الفارسى بجامعة طهران ان يقدم لها ، بمقدمة علمية يحقق فيها مدى صحة نسبة الرسالة الى ابن المقفع ، وقد اعاد طبعها منذ اربع سنوات تقريبا الاستاذ غلام حسين آهنى مدرس اللغة

الفارسية بكلية الاداب فى جامعة اصفهان ، معتمدا فى النشر على النسخة المطبوعة ومخطوطة عثر عليها فى مدينة اصفهان •

أما العربية فلم تكن تعرف حتى عهد قريب درتها الضائعة رغم مضى اكثر من ثلاثين عاما على تاريخ نشر النص الفارسى المترجم للرسالة فى طهران • فقد قمت اثناء اطروحتى عن ابن المقفع بتعريب هذه الرسالة التربوية الرائعة الى العربية لكى ارد تراثها المفقود مراعيا فى الترجمة المحافظة على الاصل والاقتراب من اسلوب ابن المقفع مستعينا فى ذلك بدراستى لآثاره ، وتشبعى باسلوبه خاصة فى كتابيه ـ الادب الكبير والادب الصغير ـ وكنت استهدف من ترجمة هذه الرسالة ان اضع بين ايدى الباحثين العرب نموذجا جديدا من أدب ابن المقفع بتفكيره لا باسلوبه فقط بغية ان يكشف لنا بعض الجوانب الفكرية فى المجال التربوى للناشئين •

ونشرت مكتبة ـ عالم الكتب ـ فى القاهرة عام 1962 الترجمة العربية للرسالة ، ولقيت الاعجاب والتقدير فى الاوساط الادبية والعربية ووقعت منهم موقع القبول والرضا فارجو ان اكون قد ساهمت بذلك فى الدور الذى يقوم به العاملون فى حقل الدراسات المقارنة بين اللغتين العربية والفارسية •

وقد تردد بعض الباحثين وعلى راسهم المرحوم الاستاذ عباس اقبال فى صحة نسبة رسالة بهذا العنوان الى ابن المقفع • ولكننى لست اشك فى صحة نسبتها اذ ان نوع التفكير فى هذه الرسالة واسلوبها يشبه تفكير ابن المقفع واسلوبه رغم تصرف المترجم فى اصلها العربى وذلك فضلا عن وجود فقرات كثيرة فى الرسالة قد وردت بعينها فى كتابى ـ الادب الكبير والادب الصغير ـ من تأليف ابن المقفع مما لا يترك مجالا للتردد فى ان رسالة ـ الادب الوجيز للولد الصغير ، من تأليف ابن المقفع نفسه • واما الادلة التى اقامها المرحوم الاستاذ عباس اقبال فلا تخلو من الضعف وقد وضعتها على مشرحة النقد والتحليل فى مقدمتى للرسالة ، وليس هنا مجال البحث عنها •

موضوع الرسالة ، كما يبدو من عنوانها ، تربية الجيل الناشىء ويستمد ابن المقفع مقومات التربية الخلقية فى الرسالة من ثقافته المزدوجة ، كما تتجلى هذه الظاهرة بكل وضوح كذلك فى كتابيه الادب الكبير والادب الصغير •

والحق يقال ان ابن المقفع هو اول من تصدى لعمل التفاعل بين اللغتين العربية والفارسية حيث نقل لاول مرة عيون تراثنا الفهلوى الى العربية وبذلك حال دون ضياعها ، ومن ثم نستطيع ان نقف على مدى الدور الذى قام به فى هذا الميدان • فانى لست مغاليا ان قلت انه لولا قيام ابن المقفع بتعريب خداينامك فى سير ملوك الفرس ، لما بلغت الملحمة شأوها العظيم فى اللغة الفارسية الدورية بعد الاسلام فى ايران لتكتمل خيوطها فى القرن الرابع الهجرى على يد

الشاعر القومى الخالد ابى القاسم الفردوسى فكلاهما عندى يشيد بالامجاد ويتغنى بمفاخر الاباء وان اختلفا فى البيان والتعبير ٠

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذلك الجمال يشير

وتضم الرسالة اشتاتا متنوعة من الادب الرفيع والنصح الغالى ، وتحتوى على واحد وخمسين فصلا يوصى فيها المؤلف ابنه المثالى بالتزام مفاهيمها العالية واتباع مناهجها التربوية المحددة المعالم ٠

ومن الطريف ان ابن المقفع فى هذه الرسالة يحرص ان يلقن الناشئة اداب المائدة وتقاليد الطعام مما يطلق عليه ـ اتيكت المائدة ـ حيث يقول : اى بنى : اذا حضرت مائدة فلا تلق بنظرك على الموضع الذى يؤتى منه بالطعام ولا تلتفت الى تلك الناحية ، وامسك بعنان التماسك فى ذلك المقام وتمالك نفسك ولا تكن اول من يمد يده الى الطعام والخوان فيحكم كل الناس بشره نفسك وغلبة حرصك وتعرف وتوصف بصورة الشهوة فاجتنب فى مثل هذه المواطن امثال تلك العادات والوجهات التى ذكرتها لك واعتصم بالصبر والتثبت فان كل من لا يقنع بالقليل لا ينتفع بالكثير ٠

كما نرى ابن المقفع ينصح بالتواضع والتحلى بمكارم الاخلاق فيقول : اذا كان لك فضل منزلة وعلو درجة فلا تتكبر بهما على الناس ولا تتطاول فتصير حقيرا ولا قدر لك فى اعينهم وتصبح مستحقا للملامة ومستوجبا للمذمة ، ويكون مثلك كمثل من يغرى الناس به ويعينهم على نشر معايبه ٠٠

ويقول ايضا فى احد فصول الرسالة ، وهو ينصح بتهذيب النفس واقتفاء سيرة الحكماء ٠٠ انظر دائما الى الاخيار والعقلاء ، واستمع الى كلامهم والاقتفاء بسيرتهم والاقتداء بسنتهم واعلم ان هذا المعنى خير معين لك فى بلوغ الخيرات وتحصيل الغايات وادراك المنافع والفوائد وكل من يستمر على مناهج الخيرات ويلتزم الاحسان والمبرات ولا يحرم من مزيد التوفيق وموهبة المعونة ٠

وينصح ابن المقفع فى موضع آخر بالتزام الخير ومجانبه الشر فيقول : اى بنى : لا تظن ان سلوك الشر عنه الاشرار ايسر الى مطلوبهم من الاخيار لان كل من يتوفر على الخير والاهتمام بالبر على الخير ويتخذه عادة لا يجد فى اى شىء سواه التذاذا او انتفاعا ولا يرغب فى اى عمل غير الخير ولا يميل الا اليه ٠

هذه الفقرات التى اوردناها ان دلت على شىء فانما تدل على مدى قيمة هذه الرسالة فى مجال التفكير التربوى المبكر فى الاسلام ولا شك انها تعد وثيقة كبرى من وثائق تاريخنا الفكرى الاسلامى ٠

ـ عن جريدة الدعوة السعودية ـ

• **محمد أحمد المحجوب يتحدث عن « الصـراع » بين الشعر القديم والشعر الحـديث :**

أنا لا اعتقد ان هنالك شعرا حـديثا وشعرا قـديما • اما ان يكون هنالك شعر او ان لا يكون • وما يسمونه بالشعر الحديث ، ان كان جيدا فهو ينصب فى تفاعيل الشعر العربى دون التزام بالقافية • وليس هذا حديثا • فالعرب كانوا يكتبون الشعر دون التزام قـافية واحـدة ، فى الجـاهلية وفى العصر الاموى • اما اذا كان الشعر الحديث لا ينصب فى قـوالب ، اى فى التفعيلات المعروفة فى الشعر العربى ، فلن يكون شعرا • قد يكون نثرا به اخيلة شعرية ، لان اساس الشعر الموسيقى • وكل لغة من اللغات لها موسيقاها الخاصة واللغة العربية موسيقاها انضبطت فى تلك التفعيلات الموجـودة فى بحـور الشعـر العربى • والشعر الكلاسيكى قد يكون حديثا فى فكره وتعبيره •

وفى السودان ، لا اظن ان ثمة حركة شعر حديث اذا استثنينا الفيتـورى وشاعر أو شاعرين آخرين • ولكن اذا اخذت الفيتورى كمثال ، فاغلب شعره يجرى مجرى الشعر العربى الكلاسيكى ، وان هو كتب بطريقة تحمل على الظن بانه خرج عن النمط الكلاسيكى •

انى لا ادرى ماذا يعنى بكلمة « حديث » من الناحية الزمنية • واستطيع ان اجزم باننى اول من كتب شعرا حديثا فى اللغة العربية • واول قصيدة لى ، من هذا النوع ، نشرت عام 1934 وعنوانها « آدم الصغير » •

الكثيرون من الذين يحاولون كتابة الشعر الحديث فى اللغة العـربية ، لا يعرفون اصول المدارس التى امتهنت هذا اللون من الشعر فى اللغات الاخرى• وقد نشأت فى فرنسا مدرسة رامبوا ، فى القرن التاسع عشر ، ونشأت فى بريطانيا مدرسة ت• س• اليوت • ولكن من اطلع على شعر رامبو ويطلع على شعر ت• س• اليوت ، لا يجد ان واحدا منهما ابتذل الكلمة ، بل هما يختاران الفاظهما بدقة الجوهرى • ولم يخـرج واحد منهمـا عن اللحـن الموسيقى فى شعره ، قط • لم يتقيد ت• س• اليوت ببحور الشعر الانكليزى كاملة • كان ياخذ مجزؤات منها ويلائم بينها فيخرج بلحن فيه موسيقى وفيه شعـر وفيه تعبير • كل ما هنالك انه لا يلتـزم القافية • والتـزام القـافية فى الشعـر الانكليزى نادر • ان روايات شكسبير كلها شعر ، ولكنه اختار لها ما يسمى « بالشعر المرسل » • فكيف يكون مثل هذا حديثا ، وقد جاء به شكسبير قبل اربعمائة عام او يزيد ؟ !

على ان بعض الناشئين من شعرائنا ، اتجهوا نحـو ما يسمـونه بالشعـر الحديث لعدم توفر ادوات الشعر لديهم من لغة وموسيقى • ومن هنا فالشعر العربى الحديث حيلة العاجزين •

س : أليس من النادر ان يجمع انسان بين السياسة والشعر ، كيف وفقت شخصيا الى ذلك ؟

ج : لا اعتقد انه نادر ان يجمع الانسان بين السياسة والشعر ، او بين السياسة والادب • فاذا رجعنا الى تاريخ الامة العربية رأينا انه لم يتول الوزارة الا الادباء والشعراء امثال الصاحب ابن عباد وابن العميد • ووجدنا الامراء الشعراء ، امثال ابن المعتز والشريف الرضى ، وهما قمة فى الشعر العربى •

وحتى اذا اتجهنا الى الغرب نجد امثال تشرشل وكليمنصو ومانزيس• والان نجد فى افريقيا سنغور • وحتى فى فرنسا ، فان الجنرال ديغول أديب تدرس مقاطع من خطبه ، خصوصا فى الادب الفرنسى • وقديما قال افلاطون ان العالم بحاجة الى الفيلسوف المشرع اكثر من حاجته الى السياسى المهرج • واعتقادى ان عالمنا فى حاجة الى حاكم انسان وشاعر انسان •

ملحق الانوار (اللبنانية) ـ عدد 2244 ـ

◆ **حـول حقـوق المـؤلفين :**

فى جوان 1967 ستنعقد فى ستكهلم ندوة ديبلوماسية تنظر فى مراجعة « اتفاقية برن Berne » التى تنص على ضرورة المحافظة على حقوق المؤلف فى وطنه وخارج وطنه وقد وقع على هذه الاتفاقية ما يقرب عن 54 دولة • والجدير بالذكر أن الكثير من المثقفين فى أوربا بدؤوا ينظمون حملة ضد هذه الندوة التى ستراجع حقوق المؤلفين باعتبارها مشطة ومعرقلة لانتشار الثقافة بين الناس • بينما هناك منظمة أخرى وهى الكنفدرالية الدولية لجمعيات المؤلفين الملحنين التى اجتمعت أخيرا فى باريس تؤكد التمسك بشرعية هذه الحقوق وتنظر بعين القلق الى القرارات التى ستخرج بها ندوة ستكهلم •

◆ أنست « مجلة الفكر » بزيارة الشاعر السعودى الرقيق طاهر الزمخشرى الذى يقيم بتونس فى هذه الأيام بين اخوانه وقد علمنا أنه يعتزم طبع ديوانه فى إحدى المطابع التونسية • كما زارنا أيضا الشاعر الليبى عبد اللطيف لطفى صديق تونس •

الفهــرست

العـدد ـ 5 ـ فيفري 1967 ـ السنة الثانية عشرة

الفكر
مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا
مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالي
رئيس التحرير
البشير بن سلامة

الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تليفون : 260.778
الحساب الجاري : 33769 ـ تونس
العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات في السنة وتحتجب في شهر أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوي :
- الاشتراكات يرسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة أو يصب في حسابها الجاري : 337.69 تونس
- الرسائل لا ترد نشرت ام لم تنشر

اشتراك عادي في تونس د 2 ديناران
اشتراك الانصار د 5 دنانير
خارج تونس 2د500 ديناران ونصف

- المراسلات تكون جميعا باسم :
مدير مجلة الفكر
صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL FIKR - Revue mensuelle culturelle - 12e Année - N° 5 - Févr. 1967

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المالطيين ـ تونس